

معاذ جهاد

# ابنة انتبجان

"لا تغلقى الباب رجاء"

نحنا  
nous

استراحة من قصة حقيقة لكاتب الرواية الأكثر مبيعاً "لا تقرب النساء"

**ابنة الشيطان**

لا تغلق الباب رجاء

معاذ جهاد

# ابنة الشيطان

لا تغلق الباب رجاء

الكتاب  
ابنة الطيطان

تأليف:

معاذ جهاد

الطبعة الأولى

© جميع الحقوق محفوظة لدار النشر

ر.د.م.ك. 4 - 2 - 9583 - 9938 - 978 ISBN

تم إجاز هذا الكتاب في

دار «نحن» للإبداع و النشر و التوزيع

28 نهج عمدة المهدي بن جدو حي الصحافةين. 2083 أريانة. تونس

الهاتف : 31 21 29 99 216+

البريد الإلكتروني: nousedition@gmail.com



## إهداء:

إلى الجهات المسؤولة عن إصلاح الطرق، إذ أننا ظللنا  
نقطع الطرق سوياً حتى سقطنا في حفرة ما.. لذا أنا  
أحملكم كامل المسؤولية عما يحدث في هذه الرواية..  
إلى الكنبه الوحيدة – التي وضعت في أول مقهى حلب-  
التي تتسع لشخصين ليجلسا بجانب بعضهما، وما احتوتنا  
 يوماً.. في الوقت الذي كنت تفضلين فيه الكراسي الكثيرة..  
إلى كل الذين أقسموا أنهم سيبقون معك.. ولم يفعلوا..



## اعتراف:

أنا لست الكاتب الحقيقي لكامل هذه الرواية، أنا شخصان مني، أحدهما قتل في حادثة سير والآخر من أكمل كتابة هذه الرواية.

حدث الأمر في السادس والعشرين من حزيران المنصرم، حين دعاني معاذ جهاد الحقيقي للتمشي معاً، وعرض علي شيئاً لم يكن في الحساب يوماً، أن أصبح أنا هو بكامل تفاصيله..

لن تصدق، وليس المفروض منك أن تفعل، لكننا نشبه بعضنا - شكلاً - إلى درجة كبيرة، الفرق أنه قوي، متماسك، واثق من نفسه.. بعكسي، أنا الضعيف الهش الذي لم يكن.. ووافق أن يكون بديلاً عن نفسي قد توفيت. اتفقنا أن أصبح أنا هو على شرط قد أخللت به، أن لا أحب نفس الأنثى التي قد أحبها هو. وبعدها وافقت بسرعة، أطلق قهقهة كبيرة وقال: «أنت لا تعرف ما ينتظرك الآن» .. بعد فترة، عرفت كم كان صادقاً، وكم كنت أبلهاً بالموافقة على هذه المهزلة..





## مقدمة أولى:

الكاتب الذي يكتب عن الحب يوميا لم يذقه يوما كاملا. لم أرتبط بامرأة في حياتي، لم أحب أيا من معجبي، أنا أكرهكم جميعا. كل محاولاتي لرفع معنوياتكم وإيهامكم أن هذه الدنيا جميلة، ولا زالت بخير.. هي محاولات غبية جدا. هذه الدنيا أصبحت لا تطاق، لا تطلبوا مني أن أكون قويا دائما وأقول أنني بخير، أنا لست بخير. ضحكاتي مصطنعة جدا، وقوتي ليست سوى دراما، أنا فارغ من الداخل، محبط جدا، هس ومريض إلى حد لا يوصف، أنا مجرد بلاستيك.

هذه الرواية عن قصة حقيقية للكاتب، ستسألونه وسينفي الأمر، لا تصدقوه، أنا أكتب من أعماقه الآن، أما هو.. هو تحت جرعة زائدة من خيبة الأمل.



## مقدمة ثانية:

إن ألم المخاض الذي يشعر به الكاتب عند إخراج شيء ما إلى النور أشد قسوة، وإن أقسى ما قد يفعله الكاتب أن يعري نفسه في صفحاتٍ أمام جمهوره، وأن يلقي بنفسه مصلوبةً على الأوراق.. ذلك يعني أن حياته الشخصية أصبحت ملكاً للعامة، وأن ثمن حياته أصبح بثمن كتاب.

كنت قد اقتنعت أنه لا يتوجب علي نشر هذه الرواية بناتاً، إلا أنه في نهاية الأمر، أدركت أن عدم نشر هذه الرواية هي بمثابة إجهاض طفل، وأنا مستعدٌ لقتل نفسي على أن أقتل أحدهم. في الواقع.. أنا أقتل نفسي الآن بنشر هذه الرواية.

كتبت هذه الرواية لتقرأها فتاة واحدة، لكن القدر دائماً أقوى، وسألت نفسي عدة مرات، أتخني الكتابات عن امرأة عن امرأة؟! وكنت أسأل «ماذا استفدت من دخول تلك الفتاة في حياتي وخروجها بكل تلك السرعة؟!» دائماً ما كانت الإجابة العدم، لكنني اليوم أريد شكرها، فلولا

كل ما حدث، ما كتبت هذه الرواية.. هذه الرواية بمثابة  
رد اعتبار لكل ما حدث.. ولا ضير في المزيد من الشهرة  
والنقود..

«بعد أن يتم نشر هذه الرواية.. سيلاحقونك، سيحاولون  
النار منك، سيستخدمون أقذر الأساليب لقمعك، نشر كل  
التهم الباطلة، سيحاولون ما استطاعوا لتطيخ سمعتك..  
أنت تدرك ذلك، لكن يتوجب على جمهورك أن يفعل».

إذا قلت لك، في نهاية الأمر.. أن الأمر انتهى..  
فلا تصدقيني..



## ملاحظات أخيرة:

- في التصميم، لا يستحسن استخدام نوعين من الخطوط في نفس الصفحة، إلا أنه سيكون شيئاً من إلحادي بنفسه أن استخدم الخط ذاته لابنة الشيطان ومعاذ جهاد.. لذا وجب التنبيه..

- نهاوند مقام موسيقي، وصفه أحد الأصدقاء بأنه «المقام المزاجي»، إذ أن له طابع مناسب للحزن، وطابع آخر مناسب للفرح، مزاجي جداً هو..

- مدينة نهاوند هي مدينة إيرانية، أسسها داريوس الأول، تشتهر المدينة بخصوبة تربتها، وتوفر مراعيها، وتشتهر بصناعة السجاد.

- معركة نهاوند، هي معركة وقعت بين الفرس والمسلمين بقيادة النعمان بن مقرن. انتصر فيها المسلمون، إلا أن النعمان كان قد قتل في المعركة، وبانتصار المسلمين، انتهى حكم الدولة الساسانية في إيران بعد أن دام 416 عام.

\*الملاحظتان الأخيرتان مأخوذتان نصاً من مقالات متفرقة.



«أربعٌ وستون يوماً قبل صدور رواية لا تقرب النساء»

من نهاوند إلى معاذ

كاللحظة الأولى.. خوف، خجل، وحاجةٌ ماسة لحضنٍ دافئٍ وكلماتٍ مطمئنة، ولكن لم يكن منك إلا أن تشكك في مصداقية حبي، ومصداقية تلك الكلمة الواحدة والوحيدة، التي استلزمت مني شجاعة فارس عودة، بحجره الواحد والوحيد، في مواجهة تلك الدبابة الواحدة.

ثم تتركني أمضي بقية الليلة - ليلتي الأولى وأنا امرأة كاملة - وحدي ..

ملاحظة أولى: \_ الشعور المذكور فوق لا يعبر بالضرورة أنني قد جربته.

ملاحظة ثانية: \_ تصبح المرأة كاملة عند اعترافها بالحب. لم أكن أشك للحظة، أن لحظة اعترافي لأحدهم بالحب، ستكون فاشلةً إلى تلك الدرجة.. أما الآن، فأنا لا أطلب منك شيئاً، لا أن تتغير ولا أن تغير شيئاً، فقط، ركز على توقيع روايتك، واجعلني فخورة..





## الفصل الأول

### الانفجار العظيم

الذي استمر بالرقص إلى آخر الموسيقى، لم تكن أنفاه  
تسمعان شيئاً غير الموسيقى، كان صوتها واضحا  
جليا، أما في وقت الأصوات الأخرى التي كانت تصرخ  
به «توقف، توقف..» كانت قدماه تطرقان الأرض، إيقاع  
قدميه أخفى الصراخ ذلك..



00:00 \_ 2016/8/4 يوم توقيع الرواية:

لم تنم عيناى بعد، أربع عشرة ساعة متبقية، ثمان منة وأربعون دقيقة، خمسون ألف وأربع منة ثانية تسير رويداً رويداً، وكان وظيفتها الآن إغاضتي بكل ما أوتيت من بطة. والوقت انتصارك، وجعك، ومنبع الحنين إلى نفسك وإليها.. أربع عشرة ساعة ستقلبك كأننا أخرا، أما أن تعيش في فردوس وإما أن تنقلب نورك ناراً وتحرق واقعك، وفي الحاليتين.. الأمر أفضل من العيش على رمش طير، والسكون على حال واحدة هو أكثر الأشياء خيبة، والجمود هو من يردي النفس، ويرديها ضعيفة هشة مبالغ في احتقارها لنفسها، وتوقها للموت بكل ما أوتيت من وجع..

لا أعرف كيف أمكن لأولئك أن يستمروا في فعل شيء واحد لمدة طويلة من الزمن! الروتين ذاك دون أدنى تجديد- مع أنني قد جربته فترة طويلة قبلاً- إلا أنني الآن غير قادر حتى على شرب كأسين من الماء من نفس الصنبور، غير قادر على تمشيط شعري بالطريقة نفسها يومين متتاليين، أو حتى على التفكير في الأمر نفسه

مرتين.. هي فكرة واحدة من بالغت في سؤالها لنفسها  
«هل حقاً قد قضيت سبعة أشهر في رحم أمي استعدائنا  
للهبوط إلى هذا العالم؟! سبعة أشهر كاملة في مكانٍ واحد  
؟!» ثم اغمض عيني وأنفي «إن ذلك استحالة»..

لم أملك من قبل متسعاً من الوقت يجعلني أفكر في ذلك  
لكن الوقت الآن يتسع.. يتسع بما يكفي..

في اللحظة الأولى، كنت متسابقاً شرهاً مع خمسة ملايين  
حيوان منوي آخر يشاركونني السباق نفسه. لكنني ولسبب  
أجهله إلى الآن، كنت أسرعهم، أقواهم، أكثرهم تنبؤاً  
بالحياة، وأقلهم حظاً في النجاة منها، لأخترق شيئاً  
سألتصق به مدةً طويلةً جداً.. مدةً ستكفي لجعلي بشيءٍ  
جداً، ضعيف إلى درجة الانكسار، وتجعلني أحاول  
الفرار من هذه الحياة في أقرب فرصة ممكنة..

في البدء، لأكون صريحاً.. ابتدأت حياتي بأنانية، حفاً،  
كراهية ونرجسية، وكما آدم بمعصية، وكمثل ما فعل ابن  
آدم فعلت. كنت شرهاً إلى الحد الذي قتلت فيه حيوانين  
منويين آخرين استطاعا الوصول إلى ما وصلت إليه  
ليشاركنني المكان نفسه.. ولكن ألا يحق لي أن أنفخ  
بشيءٍ واحد بمكانٍ واحد وحدي؟! يجب أن أبدأ حياتي

مع اثنين يشاركانني المكان الضيق هذا مع ندرة الغذاء والهواء؟!

في بادئ الأمر، كان ذلك المكان يبدو الأبد الذي ألت إليه، ولم أعرف وقتها أنني سأغادره بعد فترة وجيزة.. لذا قتلتهم، «المكان والغذاء لا يكفيان» تحجبت..

الأمر نفسه يحدث على الكرة الأرضية يوميا، «الغذاء والمكان لا يكفيان» نبرر لفسنا قبل أن نقتل، ونظن أننا سنمكث ها هنا إلى الأبد..

في الأشهر الأولى، كان الشيء يحدث تدريجياً، وأنا أتمو شيئا فشيئا، لم يكن بالأمر المزعج بعد، لا لي ولا لأمي، ما زلت خفيفاً عليها وخفيفاً على نفسي. دام ذلك إلى أن بثت الروح في، فتقلت عليها وعلي..

أمي وقعت - وأنا في رحمها - ثلاث مرات، خلقت - على ما يبدو - فقداناً في الذاكرة، وطريقة غريبة في التفكير، و جرحين.. أحدهما زال قبل العاشرة، والآخر ما زال يقع في أسفل قدمي. وقتها - في الثلاث مرات - قاومت كثيراً الموت إلى الدرجة التي أقوام فيها الحياة الآن.

وماذا يفعل الطفل في رحم أمه؟ أترأه يفكر في الحياة الأخرى ما بعد الولادة؟ لا لا يفعل، أنه لا يعلم في ذلك



الوقت عن وجود حياةٍ أخرى ستبدأ حينما سيغادر هذا  
المستنقع إلى مستنقعٍ آخر أكثر اتساعاً، عندما يغادر من  
الرحم إلى الدنيا، من المكان المتسع جداً في رحم أمه إلى  
مكان ضيق كهذا، أقل قوتاً، أكثر ضجيجاً، أقل دفئاً،  
أكثر اختناقاً، أقل راحة وأكثر مللاً..

في الأشهر الأربعة الأولى، كان الأمر مملّ جداً، لم أكن  
أفعل شيئاً.. أخبروني فيما بعد أن الحبل السريّ - جزء  
الله كل خير - كان ينقل الطعام إليّ طوال هذه المدة، وأنا  
أكتفي بالنمو، تخيل أن الكثيرين على هذه الأرض يفعلون  
هذا الأمر تماماً بانتظارهم للحبل السريّ ليُمنّ عليهم  
بالغذاء ويكتفون بالنمو فقط!؟

في الشهر الخامس، كان أجمل ما حدث حينما سمعت أول  
دقة قلب النقطة أنثى، حينما نضجت حاسة السمع لدي،  
الدقة الأولى، الأنثى الأولى.. دقة قلب أمي. استمررت في  
سماعها مدةً طويلة، بعد وقتٍ.. أصبح صوت التنفس -  
قالوا لي فيما بعد أنه كان التنفس- هو من يشغلني..

استمرت الأشياء بجعلي أنشغل عن دقة قلبها إلى أن  
استطعت سماع أول صوتٍ يأتي من العالم الآخر -  
دون أن أعرف أنه العالم الآخر- الخارج، بعيداً عن هذا  
المكان، كنت أحاول بكل ما أوتيت من قوة جمع أنني لم

أملك الكثير وقتها- أن أصل إلى أقرب نقطة تمكنني من سماع أي شيء بعيداً عن نقات قلب أمي ومجرى التنفس لديها، من ذلك العالم الآخر المليء بالضجيج والفوضى التي كنت أحسبهما جميلتين في بادئ الأمر..

الآن.. أنا مستعد للتضحية بكل هذه الأصوات مقابل العودة ها هناك وسماع صوتين فقط..

في الثلث الأخير من المكوث هناك، نضجت أطرافي وشفطاي، واستطعت -لأول مرة- أن أتحمس إبهامي بأطراف شفتي.. يا لشعور أطراف الأصابع ذاك!!

في اللحظات الأخيرة هناك، كان كل شيء ينمو بسرعة ويتغير. كان هناك شيء ما جعلني أشعر بالاهتزازات الكثيرة، البريق، اللمعان، الضجيج .. والهدوء أخيراً..

المفارقة في الأمر، أن الأطفال يأتون إلى هذا العالم عراة، إنهم يعلمون أنه عالم قذر..

الفرق الأكبر، أنه ليس من الصحي بتاتاُ خروج الجنين من رحم أمه إلى هذه الحياة دون أن يبكي، إنها الإشارة الأولى لما سيحدث لاحقاً، مع أننا سنملك ما يكفي من الوقت للبكاء.. فلما العجلة؟!!

والآن، وأنا أملك من الوقت ما يطول حتى ليُشعرني أنه

لن ينتهي أبداً، وأنا الذي ما سؤلت لي نفسي في الحيز  
السابقة، أن أشك ولو للحظة أنني سأأخذ مجلساً كالذي  
سأأخذه غداً..

قال لي أنهم - وإن اضمحلوا - لن يكونوا أقل من ثلاث منة،  
ما جازوا إلا ليستمعوا إلي. ملق عصاي لتلقف أسماعهم،  
وأنا الذي ما اتكأت في موضع حاز اثنين غيري خجلاً،  
وأنا الذي ما ملكت إلا هدوني وعزلتي في السابق. وأنا  
الذي إذ وافقت على أن أكون كاتب هذه الرواية ويكأنتي  
ألقى بنفسي إلى التهلكة، وأنا الذي ما ملكت معصماً  
كاتباً قبلاً ولا لساناً.

## الساعة 8:47 صباحاً - يوم توقيع الرواية

بدأت بالتأخر من هذه اللحظة، اللحظة التي صحت فيها. تأخرت ساعتين عما كان يجب أن يكون حينها، وعشرين سنة عما كان يجب أن أكون عليه. صحت كمن نجا من الغرق، وأنا الذي ما رأيت البحر يوماً. غسلت وجهي منه، حملت في المرأة، إلى أحدهم ينظر إليّ فيها، كم مر عليك الدهر، وتقلب بك الأحداث لتصحو بكل هذه الدهشة؟ فيك ما فيك إلا من نفسك، ماذا كنت قبل هذا؟ سمكة؟ تخاف أن تطفو على السطح، تخاف أن تتنفس الحياة وأن ترى وجه ربك؟ تحبذ الأماكن الضيقة، الوحدة والقاع؟ الهدوء يا ابن الهدوء! لك لسان معطل، وقلب هش، وروح خفيفة تقتل بسرعة..

وأنت الذي سيقف اليوم، بكامل أناقته أمام الجمع، وما كنت قبلاً تستطيع الوقوف أمام نفسك خوفاً منها إن عاتبتك؟ كم نسيت في الجب منتظراً السيارة أن يمر عليك ويشتروك ولو بثمن بخس؟ وأنت اليوم بكل ضعفك - قد أصبحت عزيزاً، أشككت ولو للحظة أن الله سينسأك في جبك وفي ضعفك؟ وأنت الذي تنساه في قوتك.

وتنفست المكان محمقاً في وجهي الذي بدا أكثر من سابقه صفاء، وأكثر بهجة وأقل خوفاً..

ارتديت ملابسى، وقد كان والدي ينتظر بسيارته بعد أن صحب الكثير من الروايات التي كانت تجلس هادئة في المقعد الخلفي للسيارة، وهي التي ستنفجر عما قريب..

ووصلنا الجامعة وكان الاسم - اسمي - يتردد في الأمكنة كثيراً، الصور التي قد علقت للرواية في الأرجاء، العيون التي تصوب سهامها علي، وأنا الذي لا يستطيع صبرا لساعتين.. كان لا بد أن أفعل شيئاً أقلل فيه رجفات قلبي ودقاته وأن ألبيه بشيء ما..

وكان الحفل قد بدأت ساعاته تقترب، وأنا أرى نفسي تضمحل شيئاً فشيئاً. كانت الساعة تدور وكنت قميصاً ووضعتُ فيها، وكلما دارت هي تقلصتُ أنا..

## 2:00 ظهرا- توقيع الرواية

في هذه اللحظة، اللحظة المثالية لأصرخ فيها أمام الجمع أنني الآن موجود، وأنني لا أخجل من نفسي رغم انكساراتها المتكررة، ورغم الانهيارات الكثيرة في السابق، إلا أن هذا المتكأ يعطي عينيك بريقاً لم ترتديه من قبل..

وارتداء قميصك كيف يمكن أن يستحيل صعوبة، لولا ما فيك من الخوف والارتباك والدهشة ما يجعلك تظن أنك ما ارتديت قميصاً من ذي قبل، وأن كل ما حدث سابقاً لم يحدث، وأن كل شيء كان قبل هذا ما كان شيئاً، وأن الأشياء بدأت بالتكون من هذه اللحظة، وأنت أنت بكل جبروتك ما كنت أنت، وما كانت الأرض أرضاً لولا الانفجار، إنه انفجارك العظيم يا صديقي..

غسلت وجهي عدة مرات.. ثم تسمرت قليلاً وأنا أعيد ناظري إلى المرأة الموضوعه أمامي في الحمام السفلي للقاعة التي سيحدث فيها ما سيحدث، في من الخوف ما في بلد دب فيها الطاعون، وما في أم تأخر وليدها عن البيت بضع ساعات، وما في دورية جذب وقعت في كمين

مقاومة، وما في عاشق. رأى مبتغاه مع صياد. آخر وفر  
هرعا.

استنشقت ما تبقى من أكسجين المكان الذي كدت أن  
أستنفذه في شهقاتي المتسارعة، ثم لملمت قوتي من  
المكان وصعدت الدرجات، واحدة تتلوها أختها تنسج  
تحت قدمي، وأنا أرى نفسي أعلو وأعلو.. كم لبثت على  
فرارك من نفسك وقوقعتك بعيداً عن العامة؟ يوماً أرى  
بعض يوم؟ قل ربك أعلم بما لبثت، فاذهب بورقك هذه  
فانظر أيها أزكى نصاً واقراه..

مختبناً بجانب المسرح مرتدياً البزة الرسمية تحضر  
بداخلها القميص الأسود ذلك، وقلبي الذي كاد أن يفر  
لولا أن رأى برهان ربه، لم تكن عيناى بعد قادرتين  
على رؤية شيء غير المسرح مفترشاً بالبلالين الملون  
والتفاح الأحمر كشبيه الذي قد قتل سنوايت قبلاً، ولا  
شيء آخر..

أذناى من كانتا قادرتين على تصور المشهد أو رسماً  
إلى ما يقرب الواقع، في الجهة الأخرى، حيث يحدث  
ما يحدث، كان صوت مقدمة الحفل في وصف كاتب  
هذه الرواية يزداد بريقاً وبريقاً يتلوه صوت تصفيق

الجمهور، هناك.. لن يكونوا أقل من مئة شخص، الصوت يوحى بالأمر، وكلهم - أو معظمهم - ينتظرون اللحظة التي يرون فيها وجه من شغل العامة في الأونة الأخيرة.. من يفترض أن يكون وجهي..

على صوتها تقول «والآن نترك المسرح لكاتب النص معاذ جهاد»، وعلى إيقاع دقات قلبي قبل أن تعثلي الموسيقى المكان تسمرت ونسيت الدور كاملاً، صفقوا.. كثيراً، لكن قديمي نست دورهما ووقفنا تنتظران الله أن يمنَ عليهما، وأن يضرب موسى بعصاه البحر فينشق فأمشي ما بين خوفي وخوفي..

وانشق البحر، وأنا الذي ما زرته يوماً، وتحركت قنماي كالذي ما أتقن المشي بعد وما زال معتاداً على الحبو كنت، مغمضاً عيني إلا ما جعلني أرى نصف متر. أمامي وقد اهتديت إلى كرسي. وضع جانباً واستلقيت عليه..

كان صوت تصفيق الجمهور ما زال يعلو ويعلو، وإن كانت دقات قلبي تنافس شراسته وتكسر قوته..

وهداني الله إلى قنينة ماءٍ وضعت إلى جانب الكرسي بليت ما استطاعت من جوف فمي، ورفعت رأسي إلى الدرجة التي استوى فيها واستوى المشهد أمامي..



القاعة التي ما برحت تمتلئ بمننتين في كل مناسبة، كانت أن تنفجر بمننتين على الأقل ممن لم يجدوا متكأً إلا الحائط أو العدم بعدما امتلات المقاعد التي تبلغ الثلاث مئة ونيف..

وكنت ما أزال أرى الأشياء باهتة، غامضة وواضحة، سوداء وبيضاء، والضجيج كل الضجيج- قد اتخذ من أنني مرقدًا، ومر ماضٍ. سحيق أمام عيني، وكنت أراني أفرُّ من الشوارع وأسحقُ بسيارات لا تنتهي وشوارع تطول أكثر وأكثر ومر شريط حياتي أمام عيني تبعاً..

طفل صغيرٌ يولد من بطن أمه وقد تأخر بالبكاء، ثم تبكيه الحياة تبعاً، أنمو رويداً رويداً.. طفل في الخامسة لم يستطع ترتيب الكلمات إلى الآن، الضجيج الذي مر علي من قبل، وانكساري أمام نفسي، ثم وقد رأيت نفسي تحت سيارة ملطخاً بالزيت وعوادم السيارات ثم ها أنا هنا من جديد..

وكنت وكأنني قد عدت إلى ماضي منعقد اللسان، وإن احتجت الله ربي أن يمن علي، ويحلل عقدة من لساني التي عقدت للتو عليهم يفقهو قولي، وأنا الذي لم أجد عضداً أستند إليه في هذه الساعة.. ساعة القيامة، قيامتي أنا..

ونَهضت، بكامل ثقلِي وكامل عنفواني، ووقفت أمام الملائمة  
ما في جعبتي إلا الله، ولا أخشى سوى الذنب على قلبي..  
- ولاو ما أكثركم (موجها الحديث إلى الجمهور).  
- صلُّ على النبي طيب..

صرخ أحدهم وامتلات القاعة بالضحك..

وإنه سبحان الذي أسرى بي، من مرقدِي حيث كنت أن  
أختنق بعوادم السيارات متسخاً بها إلى متكني هذا، وقد  
ازدنت ببزة رسمية جعلتني أشبه بنجم ذاك الفيلم الواحد  
والوحيد الذي قد شاهدته في السينما من قبل، وإنه سبحان  
الذي عرج بي من أسفل سيارة كنت أصلحها إلى مسرح  
اعتليه الآن، فليبارك الله قوتي وليرحم الآن ضعفي وليرني  
من آياته..

وأخذت نفساً، وأضيات الأنوار في القاعة، واستطلعت  
الجالسين كمن يبحث عن فريسة تعجبه، وكنت أنا الفريسة  
التي حلق فيها الجميع، وكنت أن أسقط لولا أنني استندت  
على ما قال لي « كن قويا، الغزلان يميته خوفها ».

وبدأت وقرأت النصوص التي كنت قد حفظتها عن ظهر  
قلب، واحدة تلو الأخرى، وقد بدأ الجمع بالتصفيق  
مرارا وتكرارا، وأنا الذي كلما صفق أحدهم اشتد

زراعي، ولوحت به حتى كدت أن أطير..  
واستمر الأمر إلى أن اصطدمت عيناى بعينيها، تلك التمر  
لم أرها من قبل، ولم أرَ امرأةً تشبهها فيما بعد..

كانت تلك، التي استطاعت أن تسرق عيني من بين أكثر  
من خمس مائة شخص، وأن توقف التنفس عني لوهلة،  
وأنا أنظر في ابتسامتها تلك، ولولا أنني كنت قارناً وقتها  
للجمهور لتوقفت وأوقفت ساعتى وعقارب عيني عليها.

في الكرسي المقابل لي تماماً، في منتصف القاعة، كمن  
تربع على العرش وأتى بي قارناً نصوصي له فقط كنت  
وكانت .. وكان الجمهور يضمحل شيئاً فشيئاً إلى أن  
أصبحنا اثنين فقط، والله ثالثنا ..

أتعرف كيف تحدث تلك الأشياء؟! أن يحدث أن يجنبك  
شيء ما دون سابق إنذار، أن يقتحم الجند البيت دون  
طرق الباب، أن تكون السماء مشمسة وأن يهطل المطر  
في الوقت الذي لا ترتدي فيه ملابس مناسبة؟ أن يحدث  
الكسوف فجأة، أن يطرق الباب على معصمك، أن تنظف  
الكهرباء أثناء نزولك الدرجات، أن تدوسك حافلة، أن  
تنكسر قدمك على سكة قطار قادم للتو، أن تسدد إليك  
رصاصة باتجاه القلب، أن تقع في حقل الغام، أن تسف

من طائرة.. أو ان يجتمع كل ذلك معا و تسقط في الحب؟  
كنت أشعر بكل ذلك، بالجند الذين قيدوا قدمي واستاقوني  
إلى مكان ما، بالمطر الذي بلل قلبي، بكسوف عيني،  
بالباب الذي طرق مرارا وتكرارا على مدخل التاجي،  
كنت أرى نفسي أقع على الدرجات واحدة تلو الأخرى،  
وأرى نفسي أنسحق أمام قطارات ليس لها سبيل سوا ذلك  
الذي قيدت فيه، ورأيت إذ رأيت مسدسا غبا ذخيرة كلما  
نقصت إحداها ازدادت اثنتين، ورأيت نفسي في حقل كلما  
قررت أن أدوس قدمي الأرض انفجر لغم آخر، وسقطت  
من طائرة وكلما وصلت الأرض لملت وحلقت بي طائرة  
أخرى سقطت منها وهلم جرا، واجتمع كل ذلك.. وكنت  
أرى نفسي أهوي وأهوي..

أما هي، فبلا حراك كانت عيناها تصطادانني وترميان  
بي إلى المجهول، وأنا الذي أصبحت شخصا للتو..

وأنا الذي قد تهت مرارا وتكرارا عن النص، وكلما  
تهت نظرت إلى عينيها فاهتديت، وأنا الذي قد أمنت أن  
الله رب هذه الأرض ومن عليها، وأنا الذي قد أيقنت أنه  
من أبداع مخلوقا كهذا لن يستطيع الخلق!؟

واستمررت وقد ابتلعتني.. وأنا وإذ كنت في بطن الحوت

قد فكرت، سأنهي القراءة وستأتي إلي كالبقية، وستكون  
كتاباً وسأعرف اسمها وسيحدث ما سيحدث تبعاً..  
وانتهيت من القراءة..

أيُّ شاعرٍ يملك قدمين بإمكانه الوقوف بعد هذا الأمر؟  
كنت في تلك اللحظة ملك النص وصداه، وكان اسمي هو  
ناموس المكان، وأجّدت لي طاولة لأوقع عليها كتيبي..  
وجاءت..

ووقفت إلى جانبي، وخيلَ إلي -وأنا جالسٌ- أنها أطور  
مني قليلاً لو وقفت، وخيلَ إلي أنني لم أزل امرأةً بجمالها  
من قبل..

ومدت إلي الكتاب، وقد أوتيته بيمينتي، وكدت أن أقول  
هاؤم أقرؤوا كتابي..

- إيش اسمك لو سمحت؟

- عفوا؟

- إيش اسمك لو سمحت عشان أوقعلك؟

- بدون إهداء لو سمحت.

- حاضر..

\*\*\*\*

وإنه لما بدأ ينفذ ذلك اليوم، أحسست بذلك الإحساس الغريب عندما تفقد شخصاً ما وتعرف أنه لن يعود..

أتعرف كيف يحدث الأمر؟ ببساطة، عندما نشعر بالسعادة في يوم ما، فإن أول ما يجول في خاطرنا هي تلك اللحظات التعيسة التي عشناها من قبل، ونذكر تماماً أن ملائنا سيؤول إليها عن قريب، وأن كل هذه السعادة إلى زوال، وأن اللحظات التي نعيشها الآن لن تتكرر، وإن تكررت فلن نشعر بالسعادة التي نشعر بها الآن، وإن حدث سيكون شيئاً ناقصاً.. لذا لا نصل إلى قمة السعادة يوماً.

على العكس تماماً، فإننا عندما تلمس التعاسة شيئاً من عيوننا، فلا يحدث بتاتاً أن نتذكر السعادة.. بل نبالغ في تعاستنا، نعيشها بكل تفاصيلها، نعد الثواني وكأنها لن تنفذ بتاتاً.. وكان هذا الأمر سيستمر معنا إلى الأبد..

لذا، كثيراً ما نصل إلى قاع التعاسة ونادراً ما يحدث أن نصل إلى قمة سعادتنا، نحن مخلوقٌ تعيس بالفطرة، أجسادنا جبلت من الحزن..

لكن.. يومها، كنت أحاول جاهداً أن أسمح لما استطعت من الفرح أن يتدفق إلي، ناسياًً اثنين وعشرين سنة مضت، وإني لما كنت في غرفتي استمعت الى بعض من الموسيقى وبدأت بالرقص. وتذكرت عينيها فازداد بريق عيني انعكاساً على المرآة المعلقة في غرفتي، وكانت تبدو في خاطري أجمل بكثير وأنا أحاول تذكر تفاصيلها وما استطعت.. ولما تذكرت ضحكتها ضحكت، وأدركت أنها المنتظرة..

وعندما وصلت الساعة منتصف الليل، كان يجب علي أن أهدأ من جديد، وأن أخذ قسطاً من الراحة ومن النوم، وأن لا أفرط بالسعادة -بعد كل تلك - عليها لا تنضب قلبي الكثير من الأيام المقبلة..

أطفت النور، وفتحت شبك الغرفة، وكانت ليلة باردة وتلحفت وأغمضت عيني، وبدأت أفكر بالأشياء جميعها.. وبها..

\*\*\*

### الساعة الثالثة صباحاً .

كانت الرياح التي هبت ليلتها من شباك الغرفة قد أغلقت الباب، وأنا لم أكن أعي أن ذلك سيحدث، لكن الباب قد أغلق وأدركت أنه سيأتي، قمت فزعاً محاولاً فتح باب الغرفة بأقصى سرعة.. لكن الوقت كان قد فات، إذ رأيتَه قد وضع كرسيًا أمام الباب ووضع قدمه على الأخرى، وأشار إلي ضاحكاً بالجلوس.. وكانت تلك المرة الثامنة التي أراه فيها.. وبدأ خوفي من الأبواب المغلقة ينمو أكثر وأكثر منذ ذلك الحين...

- ماذا تريد ؟

- جنت أبارك لك..

- شكراً.. يمكنك الذهاب الآن ..

- نحن نفعل ما نريد القيام به، لا ما يمكننا القيام به..

حاولت تجاهله لإنني كنت أدرك أنه سيبدأ بمحاولة إغاضتي، عدت إلى السرير محاولاً تغطية جسدي من جديد..



- أستنام؟

- سأحاول

- نسيت.. أنت الآن كاتبٌ مشهور، عليك غداً الاستيقاظ باكراً، وفعل الأشياء الكثيرة التي يفعلها الكاتب، التي لا تعرف عنها شيئاً.

- وماذا يفعلون؟

- لا يفعلون شيئاً

وعلا صوت ضحكته ..

- صرت معجباً بإحداهن؟

لم أجب فأعلا صوته ..

- صرت معجباً بإحداهن؟

نافثاً الدخان من فمه وقد اقترب من النافذة ثم أعاد ناظره علي ..

- لقد سألتها عن اسمها ولم تجب.. كم أنت أحمق

وبدا يقهقه.. وظل طيلة الليلة يحاول إغاضتي.

## الفصل الثاني

### التكوين

في داخل كل شخص منا رواية.. أحيانا تصبح الأشياء  
أقل وضوحاً إذا ما تعمقنا فيها كثيراً..

اليوم الثاني من توقيع الرواية:

7:00 صباحاً

على صوت الهاتف يصرخ بي.. استيقظت، لكنني لم أكن سريعاً لأجيب على المتصل. من دون أن أرى من كان، اتجهت إلى الحمام، فتحت الصنبور وفتحت ما تبقى من عيني المغلقتين، غسلت وجهي ويدي.. ثم عدت إلى الغرفة ملتقطاً الهاتف. كان ينال من فائتي اتصاله. فعدت الاتصال به وبعد أن اطمأنيت عليه قال:

- ضروري أشوفك، بعد ساعة برام الله..

أغلقت الهاتف، وقد بدأ الخوف يتسلل إلي.. لهجة ينال لم تكن بتلك الحدة من قبل، شيء ما يحدث..

\*\*\*

الساعة 8:19

أمام دوار المنارة قبلته، صافحني دون شهية محملاً في عيني وأعلى جبهتي، وقد سار بنا دون أن يتكلم حتى خاطبته:

- كيفك؟

- تمام الحمد لله، كيفك انت؟

- الحمد لله..

ودون ان يرد شيئاً أكمل سيره متفقدا ايبي، وكأنه يبحث في جسدي عن سر اضاعه، او عن شيء ما قد فرّ منه إلي، وقد سألته:

- إيش في؟

مكملا التحديق في، متفحصاً إيبي من رأسي إلى أسفل قدمي، وكانني جرح غائر فرّ من مقص الطبيب دون إغلاق. توقفت لبرهة هازاً رأسي وواضعا يدي اليسرى على خصري ناظراً إياه أن يبوح بما كان يخفي، توقف.. أدار وجهه كاملاً إلي وقال:

- تروح نشرب إشي؟

- وبتحكيلي إيش في؟

على طاولة وُضِعَتْ في الطابق الثاني بجانب شباك يطل على شارع. من شوارع المدينة استندت مقاعدنا، واضعا حقيبتي أسفل الطاولة، وشادا الكرسي إليّ عليّ أجعل يدي ترتكزان على الطاولة بوضع أكثر راحة، ملتفتاً إليه بكل برود سائلاً إياه:

- طيب، وايش في هلا؟

- ايش تشرب؟

- اي ايش

- خليني اشربك على نوفي اليوم، ثنين قهوة بسكرة  
سمحت (رافعا صوته إلى أحدهم يعمل في المكان).

وقد تنهدت، ومسحت بكفي أعلى جبهتي التي بدأت  
بالتعرق حتى قبل أن أعرف ما الأمر الذي الصق بيوسد  
كنا، فانا وفي الأونة الأخيرة تحديداً - لم أفعل أي أمر  
خاطي بعكس ما يبدو على تصرفات ينال.

مطلقاً ناظري إلى الشارع متفقداً المارة كعادتي، المفز  
صاحب الصحف، الفتاة الصغيرة التي شددت إزرها بينظرا  
والنتها، حامل الشاي بكفٍ واحدة.. قبل أن تقاطع  
إحنا من جانب الطاولة..

- لو سمحت، مثل إنت معاذ جهاد؟

وقد لمرت رأسي بشبه زاوية كاملة رافعا عنقري  
لستوت عودي بعيني، وقد رسمت نصف ابتسامة ع  
لغني

- اه.. أنا معاذ جهاد.. تفضلني؟

مدت يدها إلى مصافحة، فمدت يدي على خجل، وقد صافحتها قبل أن تكمل:

- مبروك توقيع روايتك، كل التوفيق..

وقد لملت نفسها بعد أن أهدتني ابتسامة، وأدارت وجهها وقد انصرفت، وأنا -وكعادتي- تتبعت بقاياها قبل أن يقطع عامل المقهى المشهد ويضع الفنجانين على طاولتنا، ثم أعدت نظري إلى ينال المحملق في -على ما يبدو - منذ فترة ليست بالقليلة، وقد تبسم وكأنه انتصر في أمر ما..

وقد حككت شيئاً من نقفي بيدي اليسرى، ناظراً إليه بعينين واثقتين منتظراً إياه أن يتكلم

- مطول قبل ما تحكيلى إيش في؟

- أنا بستنا إنت تحكيلى إيش في؟

- عن؟

- مبارح.. قبل توقيع الرواية كان اشى غريب تسمى  
أكمن اسم من صحابك!

- بنال.. مالك؟ كنت مرتبك مبارح..

- المزيك بخيرك بآسى و ت سحكي سم عونت؟

- ممبر..

- بخيرك تسمى قرومن أسود بأجمل يومك، و ريد كنت

- تقولي إن هاد لون شوم ؟
- حبيبت أكره هاي القاعدة..
  - خلييني اصدقك.. طريقة إلقاءك ليش تغيرت؟
  - إرتباك شوي، حبيبت أغير.. ينال إيش بتحاول توصل؟
  - البننت..
  - مالها؟
  - سلمت عليها وانت الي ما عمركش سلمت عبننت
  - وكننت دايماً ترفض..
  - ما حبيبت تحكي عني شايف حالي من بعد الرواية..
  - ممكن أفهم إيش في؟
  - انت الإيش في؟؟ اشرب قهوتك..

وقد أمسكت بفنجان القهوة ذاك، وأزحت ناظري عنه، وقد تلبتت خوفاً قبل أن أتجرع شيئاً من القهوة.. شيئاً فشيئاً كنت أشربها وقد ساد الهدوء المكان إلا من أصوات . كانت تأتي من هنا وهناك.. معيداً ناظري إلى الشارع فاراً من نظرات ينال التي ما زالت تتفحص المجهول في قبل أن أضع فنجان القهوة جانباً وأعيد بناظري إليه..

- وهلكيت؟

قد سألت، فزددت تحديقاً به، وأخذت نفساً قبل أن أدرك أنه قد كشف أمري لا محالة، وأنني في هذه اللحظة

ارتكبت إثماً عظيماً حال بجعله يتأكد من شكوكه، دون  
أن أعرف ما كان ذلك الإثم قبل أن يكمل:

- كيف القهوة؟

- منيحة..

وقد ازدادت ضحكته، وقبض بأسنانه على شفتيه محدقاً  
إلي بشراهةً بعيون محقق:

- هاي أول مرة بتشرب قهوة بحياتك، معاذ جهاد  
ممكن يغير كل إشي، بس بشربش قهوة يا عزيزي..  
حابب تحكي مين إنت قبل ما أعملك طوشة أو أجيبك  
الشرطة؟!!

وقد أدركت أن الأمر ما عاد يحتمل الإخفاء والإنكار، وأن  
عصا يوسف قد لقت ما صنعت، وما حاولت إخفاءه..

- بنفعش نحكي هون..



في حديقة الاستقلال، وإلى جانب شجرة تحاول ما استطاعت أن تصل السماء، وعلى مقعد خشبي كنا قد جلسنا عليه، وبعد أن شربت من الماء ما يكفي لأروي لقصة كاملة، أعاد سؤاله.. «مين إنت ؟ ممكن تفهمني يش اللي بصير؟».

- رح أبدا من بداية القصة، رح احكيك كل إشي..  
هو خبرني إن رح يبجي يوم لازم احكيك فيه كل إشي  
أصلاً.

- مين هو؟

- معاذ جهاد .. بدت القصة من هون..

## الفصل الثالث صراع ابني آدم

بعد أن قتل ابن آدم أخاه، هل تزوج الجميلة تلك أو أنه  
لم يفعل؟

2016/3/28

ثلاثة جنود في الأمام وراء مكعبات حجرية كبيرة يكتسبون ما استطاعوا من الملابس الواقية والرصاص، أربع سيارات مجنذة إلى الورا قليلاً، جندي إلى الورا أكثر، مخاطباً القناصين بالعبرية « صوبوا تجاه الأقدام، لا نريدهم موتى، نريدهم عاجزين»..

أمام المكعبات الكبيرة، وسط المواجهات الغاضبة، ناضلت حاويات القمامة الملقاة أرضاً، و إطارات السيارات المشتعلة أكثر مما ناضلت الحكومات العربية جميعاً..

ما وراء الحاوية.. الشباب يرتدون قمصانهم على وجوههم، الحجارة ترمى بشكل غير منظم هو الأقرب للتنظيم، ودار المقلاع في يد الصبي ذي الخامسة عشر ربيعاً أربع دورات قبل أن يلقي مسافة تزيد عن الثلاثين متراً. الأمر أشبه بلعبة كرة قدم، دفاع وهجوم، كر وفر، فريقين اثنين، دون حدود لساحة اللعب، الأرض كلها ساحة، وأنت مقاتل، الحكم غير موجود بتاتا، لا تتوقف اللعبة إن سقط أحدهم أرضاً، بل على العكس تصبح اللعبة أكثر إثارة وأشد بطشاً إن وقع أحدهم، الفريقان غير متكافئين، ومن لا يسقط هو من يبقى..

والصراعات الطويلة ولدت بدايات الحرب للتو، لكنها ولدت ناقصة لشهرين. كانت ولادة قيصرية لم يكتمل فيها جسم الجنين ولا عقله، كانت مبشرة بالموت السريع للقضية. سنتتهي الإنتفاضة بسرعة كما الجنين. الكل راهن على ذلك، إلا مقلع طفل ظل دورانه يعلن أن الإنتفاضة قائمة إلى الآن.. لكن الذي لا يمكن إنكاره، أن الشعب في السنوات الخمس عشرة التي تلت الإنتفاضة تلك، قد اعتاد الأمر، بدأت حياته تسير رويداً رويداً إلى الإستقامة، وكان المحتل أصبح واقعا متقبلا.

إن فكرة التأقلم قاتلة، أتعرف متى أبهم حق العودة؟ عندما تحولت خيم اللاجئيين إلى طين، لم يكونوا خانئين بتاتا، وربما لو كنت مكانهم لفعلت فعلتهم.. لكن، من هذه النقطة بدأت الأفكار تنقلت منا.

متى تسربت فكرة الدولة على حدود السابع والستين إلى عقولنا؟ عندما فتح المحتل الأبواب أمام الأيدي العاملة لتكسب ثروة من أرضها المحتلة، وعندما زرنا حيفا مرتدين نظارات شمسية ومداعبين البحر تبسما، وكأنه غريب جاء من منهاتن.

ذلك الجيل.. جيل أو سلو الذي انكبت عليه الأقوال بالضياع

والفقدان، هو الوحيد القادر في هذه المرحلة على الصراخ  
والإستعادة والوصول إلى كينونته. ما قبل الإنتفاضة،  
تساءل الكثيرون عن هذا الجيل، وماذا بإمكانه أن يفعل.

ذلك الشاب الذي مشط شعره وأنزل بنطاله قليلا ولبس  
عقدا، وتلك الفتاة التي أكثرت من أحمر الشفاه، وأدمنت  
مواقع التواصل الاجتماعي، ألقوا عليهم الكلمات التي  
جعلتهم كأنهم من أفقدوا الشعب أرضه.

وعندما بدأت الانتفاضة، نزل ذاك الشاب ليمسك مقلاعا،  
وتمسك تلك الفتاة بحجر. تسائل الجميع « لماذا هؤلاء  
يقاومون؟ » ونحن شعب مفصوم ذاتيا، نريد التحرر ولا  
نريد المقاومة، ونثور على الثائر حتى يستكين.

وفي فلسطين.. لا يزداد العمر والتجارب بمرور السنين  
فقط، كل حاجز أمني، رصاصة، أو غاز مسيل للدموع  
تزيد في عمرك. الكثير من الأطفال يخرجون من بيوتهم  
بأعمار لا تزيد عن السابعة، ويعودون إلى البيوت شبانا،  
أناسٌ كثيرون شاب شعر رأسهم على حاجز قلنديا.

ورصاص العدو في نهاية الأمر لا يفرق بين أحد..

لذا لا تعشقي فلسطيني يقاسمك الحب مع وطنه، فيخير إما

أن يعيش لأجلك أو إن يموت لأجله، لا تعشقيه فلسطيني  
بتاتا، هو سيضرب عنك ويشرب ماء وملحا، ستمضيان  
شهر العسل في الأنفاق، ويتركك في ليالي اكتمال القمر  
ليخطف الجنود.

أحببه خاننا لوطنه، ستكون حياتكم جميلة جدا في فنادق  
إسبانيا، ستحتسون النسكافيه صباحا لا الموت المؤقت،  
ستشاهدون الأفلام الأجنبية على شاشات التلفاز لا صراع  
طفلة لأجل البقاء، وبكاء أم فقدت رضيعها للتو، لن تقفوا  
على الحواجز ساعتين، ولن تكونوا قلقين بتاتا بشأن  
الأسرى أو الجرحى، ستكون حياتكم مثالية جدا، وعندما  
ستتجربون طفلا ويكبر ليسالكم عن جنسيته، في تلك اللحظة  
بالذات، سيجتاح الصمت لسانكم.

وراء جدار أراد أن ينقض، فأقامه بالحب.. مذ قدمه التي  
امتلات بالدماء أماما، واستلقى إلى الجدار فأقامه. أخذ  
نفسا ونظر إليها وهي تنزع وشاحا - كانت قد تلتفت به -  
وتشده على قدمه لتوقف الدماء لغفرة وجيزة، مسحت بيدها  
اليمنى عرق جبينها، وباليسرى شدها هو إلى حضنه،  
وسرق من شفثيها قبلة، طالت كثيرا..  
وقع خلالها - القبلة - أربعة جرحى أحدهم في القلب..

ناقثاً الدخان من فمه ضاحكاً، وقد نظر إلى أحدهم بجانبه  
لا يعرفه « ببوسوا بعض، هو وقته؟! »

أوما إليه صاحبه وهو يخاطبه ببسمة صغيرة.. وكان ذلك  
الرد كافياً.

أعاد إلى فمه سيجارته، استنشق شيئاً منها، ثم طردها من  
فمه ليطرد بقاياها بعدها.. كانت عيناه تستطلعان المكان  
كمن يشاهد فيلماً سينمائياً لم يكن هو أحد ممثليه..

إلى أن استوقفته هي، الفتاة التي أمسكت بأربعة من  
الحجارة تنتظر الفرصة المثلى لتلقيها وسط الدخان  
المنتشر في الجو..

أدار وجهه مرة أخرى « مطول وانت حامل هالعلم؟!  
شوف البنت هنديك، عليم الله جننت سماهم »  
- وانت هاي السيجارة الثالثة، زي كأنه الدخان إلي في  
الجو بكفيس؟

أعاد استنشاق جرعة أخرى من السيجارة، ثم ألقى بها  
أرضاً، وأطفا بقاياها بقدمه..

- وباسيدي هي طفيناها، هدي بالك هلقيت؟ خف الدخان؟  
ضحك صاحبه..

- وإيش جاي تسوي هان؟ تمسك العلم وتنفرج؟  
- مسكة العلم مش هينة، كبار وخايفين يمسكوا العلم،  
لسا صراحة جبنان أقرب، بس حابب أشوف.. وإنت؟  
- ما بعرف ليش انا هون..  
- كثير ما بعرفوا ليش هم هون..

جلس إلى الأرض، وأمد قدمه اليمنى وقد ثنى يسراه، فيما  
كانت الساحة أمامه تمتلئ بالدخان وتقل وضوحاً وتزداد  
ضجيجاً..

أعاد ناظريه إلى الشاب والفتاة ما وراء الحائط، «لسا  
الإسعاف ما إجاش؟! ما هو يا بموت من الجرح يا بموت  
من شفايفها».

- خليه يلتهى، عشان ما يحسش بالوجع، وخليك بحالك  
إنت شو مغلبك؟! ما هو لو إنت اتصاوبت ومحلته كان..  
- إذا بعرف إني بدي أكون بمحلته هلا بروح بتصاوب،  
بس حظي و عارفه، بتصاوب من هون بلاقيني بمستشفى  
رام الله في العناية المركزة إذا ما لقيتس حالي كاعد  
بتعذب..

والحرب.. هي أشبه من يوم القيامة بالقيامة، وإن لم يكن  
الناس عراة إلا أن قلوبهم تعرت، وإلا لما كانوا ها هنا،



الجند تعرفوا من الرحمة، والشبان تعرفوا من الخوف،  
وبعض العربي شرف..

الساحة التي تتحول في كل ثانية إلى لعبة جديدة، مطاردة،  
نزال، أو حتى لعبة بينج بونج، من يوقع أكثر يكن الفائز،  
لكن الإيقاع يختلف في كل مرحلة، وإيقاع دقة سنسال  
علق بقدم فتاة قفزت ورمت حجرا واحتضنتها الأرض،  
أقوى من دقة إيقاع جندي رمى قنبلة وعاد إلى الخلف  
هرعا..

وكانت أن تختنق لولا أن رأى برهان ربه ورأها، والتفت  
إلى صاحبه وهو يحاوره، وأوما إليه فرمى سيجارة كاد  
أن يشعلها، وأشعل في نفسه الحمية وهبا إليها..

وبعد أن سحبها بعيداً عن الدخان وأهله

- اجرها متصاوبة، لازم نوقف الدم.. جيب شريطة أو  
أي إشي..

- شريطة لتغطي الدم، بس بتوقفوش، بدك إشي يضغط  
عاجرها.. سنسالك..

- سنسالي؟

- الإشي الي لابسه..

- اه اه..

وخلع من على صدره سنسالا كان يرقد ها هناك من ست سنوات، ولفه أعلى الجرح فقل تسرب الدم من مرقده، ولف على الجرح قطعة قماش قد قصها على عجل من قميص كان قد رمى جانباً، ثم أعاد ناظره إلى صاحبه..

- روح نادي واحد من الإسعاف، هيهم قراب من الدوار.. وأنا بضل عندها..

كان قد أكمل سماع شطر الجملة الأخير وهو يركض راداً عليه « ولا يهيك، بس شد على الجرح ».

أعاد ناظره إليها، وقد التقط من حقيبته قنينة ماء صب منها قليلاً على يده ثم مسح على أعلا جبينها وعينها..  
- سامعتيني؟! صحصحي..

ضارباً على خدها بسرعة مخاطباً إيها، « قومي، انت منيحة، صحصحي ».

متفقدا الجرح بعيني طبيب، وإن رأى الدم قد توقف عن سريانه أعاد ناظره إلى عينها بالاً قطعة قماش مسح بها عنقها، ثم أمد يده إلى يدها لينقذها، فثبت بيدها على أطراف أصابعه، وإن ألقى ذلك الأمر إحساناً غريباً في خاطره وطمأنته عليها..

ثم عاد صاحبه ورجلان أحدهما كان مسعفاً والتقطاها  
وأسرعا بها إلى سيارة الإسعاف..

- بدي واحد يضل معها، سيارة الإسعاف بتوسعش لو  
سمحتوا.

« روح معها وبلاقيكم بالمستشفى... » مرتبنا على كتف  
صاحبه..

وظل، طيلة الطريق، ممسكا بيدها يستجدي منها الأمر  
مرة أخرى، لم يكن يدري أكان ذلك من أجلها أم من أجله،  
لكنها لم تفعل..

\*\*\*

« مين معاذ؟ » صرخ رجلٌ قد تآبطت عيناه شرا،  
بجسمه العريض وقد احتاج معاذ إلى أن يرفع رأسه  
كثيراً بعدما كان قد أسنده على يده اليسرى، « انا معاذ،  
ايش في؟ »

وقد شد على قميصه بيده اليسرى، « من وين بتعرف  
بنتي؟ وليش ماخذها على المواجهات؟ »

لم تتغير ملامحه بناتا، محاولاً نزع يد الرجل عن قميصه،  
- وكل الله، ادعي إنها تقوم بالسلامة بالأول.  
- والله إذا بصير فيها إشي..

محاولاً تهدئة رجفات يديه، غير مصغٍ لتمتمات الرجل  
حيناً وصراخه حيناً أخرى، ألقى برأسه على الحائط  
وأغمض عينيه وقد شبك يديه الاثنتين، محاولاً ترتيب  
كل ما حدث..

« ما هو وقتها أصلاً؟! يا بموت من الجرح يا بموت  
من شغافها، وإنت جاي تمسك العلم هان؟ هي رميت  
السيجارة ارتحت هلاً؟ .. شد إنت على الجرح بس .. أنت  
منيحة، صحصي.. بنا بس واحد يضل معها.»

صحى من هلوساته فجأة وقد فتح عينيه والتقط من حقيبته  
قارورة ماء، تجرع قليلاً منها، أغلقها، أعادها إلى  
مرقدتها.. وعاد هو..

مستذكراً تلك اللحظة التي شددت بيدها على أطراف  
أصابعه، وكأنها أعطته شهيقاً وقتها، شهيق الحياة..  
أعاده إلى الحياة صوت أحد المرضيين صارخاً «مليون  
مرة قلنا، ممنوع التدخين جوة المستشفى.»

تلقت إليه وهو يطفى طرف سيجارته التي كانت قد أشعلت  
للتو معيداً إياها إلى علبة السجائر، ماشياً ببطء وهو يعيد  
حشو بنطاله بالقميص..

« كيف صارت؟ » بعدما تثنى ركبتيه إلى أن تساوى وجهه  
مع وجهه صاحبه المتكى جانباً..  
- ما يعرف، بس قلبها ما كان يدق بالإسعاف، ما كنتش  
تتنفس..

- رح تكون بخير..

ملتفتاً إلى الصوت الصارخ من الورا..

- ماله هاد؟

- أبوها، بفكر إني بعرفها وإني أنا الي ماخذها على  
المواجهات.

متحسباً بيده اليمنى أطراف أصابع يده اليسرى سانلاً  
صاحبه « رح تعيش؟! »

قال لي بعد أن تبسم وقد تجرع بواقى سيجارته، وكانت تلك القصة أول ما ستنبى عليه حياتي التالية.

«لازم تكون قوي قد ما بتقدر، في حياتك انصدمت بمليون جدار، مش رح أقبل إن جدار يهدك بعد اثنين وعشرين سنة عشتهم أنا».

« وهيك التقينا » ضاحكاً وقد أدار وجهه إلي، ثم أداره لفترة قبل أن سألت:- «والبنت؟»

وقد نفث بواقى الدخان من فمه..

- ما بنعرف إيش صار فيها وقتها، اضطررنا ننهزم وأبوها مفكرنا إحنا الي ماخدينها على المواجهات.
- ما عرفت إن عاشت أو ماتت؟
- عرفت وقتها إن في بنت ماتت يومها.. ما كنتش أعرف إن كانت هي أو لا.
- كانت حلوة؟
- مش متذكر - ثم ضحك - الخوف وقتها ما خلاني أشوف إشي..
- وبعدها؟!!

2016/4/8

كانت القاعة قد جهزت لما سيحدث، ثمان من المجموعات تتنافس في مسابقة ما، الخوف دب في كل الجمع، أما هو فقد كان متأنقا رغم إدراكه بأن اثنتين من المشاركات في فريقه لم تأتين حتى الآن، والمسابقة ستبدأ بعد نصف ساعة..

أعاد التقاط هاتفه مرة أخرى، وضع رقم إحداهن واتصل عليه، لكن أحدا لم يجب، أعاد المحاولة مرة أخرى، أخذ شهيقا قبل أن يعيد فعلته على رقم أخراهن.. وكفعل الأولى فعلت، أغمض عينيه، فتحهما ثم قال موجهها الحديث لياسمين:

- رح نشارك بالمسابقة لحالنا.. مش رح يجين..
- معاذ بس لما مش متدربين.
- معنا نص ساعة.. دول بتتحرر بنص ساعة..

وظلا لما يزيد عن ساعة ونصف، يحاولان التدرّب على عرض فكرتهما بأفضل طريقة كان يمكن أن يصلا إليها، قبل أن يأتي دورهما إذ حلا سادسا بين الفرق، وكان كلما تعرق تبسم قليلا وأخذ نفسا، وأعاد تكرار مقولته « رح

نكسر الدنيا»..

وقد كانا واثقين جداً وهما يعرضان فكرتهما أمام لجنة الحكم رغم تأاتهما المتكررة ووقوعهما بالخطأ مرات عديدة.. إلا أنه كان يبدو على وجوه اللجنة عدم الموافقة على مشروعهما قبل أن تغلق الباب، وتنادي على المجموعة التالية..

\*\*\*

على أربع درجاتٍ وضعن أمام القاعة تلك كان قد جلس، واضعاً رأسه على كفه الأيسر المستند على قدمه، وقد وضع علبة عصير كان قد شرب منها القليل جانباً، كان ولأول مرة منذ فترة ليست بالقصيرة يشعر بالخذلان، كيف لا وقد أعد نفسه للمسابقة هذه منذ فترة، غير أن غياب الاثنتين أردى في نفسه الريبة والشك عما إذا كان سيختار للمنافسة التالية..

رفع رأسه -وقد وضع أحدهم يده على كتفه- حتى اتضحت معالم ذلك الشخص، كان هو ..

- كيفك؟

- تمام الحمد لله، كيفك انت؟

- بخير.. إيش جاي تعمل هون؟



- زي ما جدي تعمل انت.. كيف كان أداؤكم؟

- ما بعرف، كان منيح ..

- يالله مش ناوي تيجي تسمع النتيجة؟

- صراحة خايف.. مش ضروري.

وقد شده من يده جاعلاً إياه يقوم من مجلسه ذاك مخاطباً

« لازم تكون زلمة حتى إن خسرت »

\*\*\*

في أحد مقاهي رام الله، وبعد أن صُدمَ الاثنان بخسارتهما

قد جلسا برفقة اثنين آخرين من المشاركين.. وبعد هنيهة

سأله:

- عرفت إشي عن البنت؟

هاذا رأسه بالنفي بعدما وضع كأس شايه جانباً

- تخافش، رح تكون بخير أنا متأكد..

وقد التقط سيجارة من علبته، ووضعها في فمه وقام

بإشعالها ثم أعاد ناظره وسأل:

- وإنت، شو أخبارك؟ سمعت إنك رح تنتشر روايتك

عن قريب..

- كلن المفروض أنشرها عن قريب.. بس كل مرة

- بتأجل إشي وبخرب إشي  
- يالله إن شاء الله خير.. بس رح تعمل ضجة حلوة..  
- سمعت إنك بتلعب شطرنج منيح..  
- مش كثير منيح.. بس أحسن منك..

وضحك قبل أن يكمل:

- طيب شو عليك بكرة؟ أشوفك وأغلبك؟

\*\*

فارا' من أحد محاضراته كان حينما التقى به في كافتيريا  
للجامعة..

- يالله؟ جيت الشطرنج تعال أغلبك

- إيش تشرب؟

- أي إشي غير القهوة..

وكانت تلك ثاني منافسة بينهما..

احتاجا أسبوعاً واحداً فقط ليكتشفا كل تلك الأشياء التي كانت تجمعهما، كل تلك التفاصيل الصغيرة. الغريب في الأمر، أننا عندما نعجب بأحدهم ويصبح صديقاً لنا، فإننا نبحث عن التشابهات ونعجب بالاختلافات بيننا. عندما يقرر تركنا أو نقرر تركه، فأنا نبدأ بالبحث عن الاختلافات، ونكره كل شيءٍ متشابه بيننا..

أما هما، فلم تكن الاختلافات جوهرية بينهما، كانا عبارة عن قطعتين «ليجو» فيهما من الاختلاف ما يجعلهما تتطابقان على بعضهما تماماً، صفة الهدوء في أحدهما والضجيج الذي يملأ الآخر، القوة في نراع أحدهما وضعف عود الآخر، المزاح والجدية، السواد والشقار..  
والذكاء بكليهما..

لم يحتاجا للتمرن أو للوقت للتناسق، كان كل شيء متناسقاً..

وفي الوقت الذي لم يكن أحدهما يمضي مع عائلته أكثر من ثلاث ساعات يومياً، كانا يمضيان مع بعضهما أكثر من نصف النهار..

لم يكونا بحاجة لفعل شيءٍ أو الاتفاق على شيءٍ ليلتقيا، بل على العكس تماماً، كانا يجلسان ولا يفعلان شيئاً.

وكان متكنا حينما وصلت إليه رسالة ما من احدا من:

- مساء الخير كيفك؟

- تمام الحمد لله، كيفك انت؟

- الحمد لله، كنت بندي أسألك.. سمعت ان في عمل

تطوعي لتنظيف حديقة مع الجامعة، وحككتي صحبتي

إنك رح تشارك.. وحابة اشارك وما بعرف حدا من

المشاركين غيرك وما بعرف وين المكان.. فمممكن

أروح معك؟

- ما في مشكلة.. بنفع نلتقي بمكان قريب؟ عندي ورشة

عمل بمكان هناك.. نلتقي كدام المقاطعة وبنروح سوا؟

..عند الإشارة الضوئية..

- اتفقنا.

2016/5/1

أمام إشارة المرور بجانب محل العصائر مقابل «مقاطعة رام الله»، كان صديقان بكل ما أوتيا من حيب لبعضهما يجلسان، أحدهما قد وضع سيجارة في فمه واستنشق ما استطاع من دخانها، أما الآخر فقد استند إلى حائط صغير، وقد أعاد النظر إلى هاتفه مرارا وتكرارا..

- النانص ساعة بنسئنا معاذ، مش ناوية تشرف؟

- اصبر شوي، هلقيت بتيجي..

- معاذ تعال نروح وهي بتلحقنا..

ولم يكذ يكمل الجملة تلك، إلا قد قاطعته نظارة رؤية وضعت أمام عينين فانتنين لامرأة كادت الإشارة الضونية أن تقف لجمالها، وكاد الوقت أن يقع مغشيا عليه من فتنها..

أمام خط المشاة كانت.. منهكة تستجدي محركات السيارات أن تقف، حتى أسرع بخطواتها فارة من خوفها منها.. وحينما وصلت:

- المرأة الجاي بشرف واحد منكم بمسك بإيدي لأقطع الطريق..

- منيح الي استنينا ( قال بنال ضاحكا ).

فتاة جميلة وشارع وإشارة مرور، ذلك يعني حوادث  
كثيرة لاحقا..

كثير ننتك صنفه؟ أم قنرا' محنتم أن يلتقي ثلاثة ما كثر  
أخذهم قنرا' على جمعهم لو أراد ذلك، والريح التائهة  
تجمع البثور..

من عتلة مسيحية عاشت لبرهة من الزمن في بلدة الطيبة  
شمال شرقي رام الله كان الجد الأكبر «حليس» يعيش  
وقتها، وقد أنجب عدداً من الأبناء غير أن اثنين منهم قد  
تنازعا وتخاصما كابني آدم، واعتدى أحدهما على أخيه  
فقتله وهرع فرعا' بفعلته، ومن هناك فر.. باحثاً عن  
ماوى يأويه من بطش السماء وبطش أخوته الذين قرروا  
النار لأخيهم من أخيهم، وشاءت الأقدار أن يفر إلى بلدة  
تسمى سنجل..

سنجل التي عرفت بمعركة شيلو بين بني اسرائيل  
والفلسطينيين التي ذكر أثرها في التوراة، كانت وقت إذ  
معقلاً لقاطعي الطرق الذين عرفوا بسطوتهم وبطشهم،  
إلا أن رحمة' ليس يعرف مصدرها دبت على قلوبهم  
حينما التجأ إليها الابن الفار، وأثر أهل سنجل وقتها على  
نفسهم وتوعدوا بحمايته..

وقتها، كان الابن المسيحي الفار قد أعلن إسلامه طلباً  
للحماية وخوفاً من بطش أهل سنجل الذين كانوا مسلمي

الإسم، وعثر هنك وقد تزوج وأنجب، مشنن عنة  
ظلت راسخة في الممكن سميت فيما بعد بتمسمة..

سنجل التي اشتهرت وقتنذ بمحاصيل العنب والزيتون،  
وأشجار التين والبرقوق، وتطورت الأمور رويداً رويداً  
إلى أن ضم الاهتمام بالمحاصيل وقطاعة الطريق..

والأب الأكبر للعائلة -الابن الفار- قد أنجب.. وبعد عدة  
أجيال جاء سليمان، واعتنق الدين وأصبح إمام المسجد  
ومؤذنه، وتقالا النسب إلى أن جاء الابن البكر للابن  
الثالث في العائلة وأسموه معاذ..

العائلة التي تكونت وقتنذ من أب يعمل في مدرسة داخلية  
في القدس، وقد اصطحب ابنه الأكبر للدراسة هناك، تلاه  
الابن الثاني الذي عمل لفترة طويلة في أعمال منقطعة.  
أما الابن الثالث - الذي سيصبح أباً معاذ لاحقاً - فقد كان  
الابن الأقرب للأب، إذ كان يعينها في أمور البيت في وقت  
غياب الابنين الأكبرين.. يتلوهم الرابع الذي كان أكثرهم  
كسلاً وأقلهم تنظيمًا، الابن الذي كان كلما اصطحب  
أغنام العائلة ليرعاها توجه بها إلى ملعب قريب وتركها  
راكضاً وراء كرة ناسياً أغنامه.. الابن الأخير كان  
أكثرهم هدوءاً وقتها..



وفي الوقت الذي تطورت فيه أحداث السابع والثمانين، هبّ الأكران مع أصغرهما ليلتحقا بمواكب الثوار، الأكبر كان قد التحق بتنظيم ماء، الثاني كان قد أنشأ تنظيما صغيرا في البلدة، أما الأصغر -الأكثر هدوءا- فكان منفردا يقف في منتصف الشارع الرئيسي راميا الحجارة على سيارات المستوطنين المارة من ذلك الطريق. في فترة لاحقة بعد توقيع اتفاقيات السلام أصبح لا يفرق بين سيارات المستوطنين أو الفلسطينيين، أصبح يرميهم جميعا بالحجارة.

وفي الوقت الذي كان أكسلهم لا زالت تلهيه كرة يركلها عن الأغنام وعن الثورة.. كان الابن الثالث يتعايش مع الواقع المفروض دون أن يكون جزءا منه.. وفي وقت اشتعال كل شيء كان قد ضرب من طرفي النزاع.. في أحد الأيام، كان أخوه الأكبر يغلق عليه الباب ويبدا بضربه.. لمرات كثيرة فعل لعدم التحاقه بمواكب الثوار.. في أيام أخرى، استدعاه الضابط الإسرائيلي المسؤول عن المنطقة محاولا كسب وده للإيقاع بإخوته، وكان رده وقتها « صح ما بقاومش معهم، بس قلبي معهم على القليلة»..

وقد تزوج، بابنة عمته وكانت اختياره..

ابنة عمته.. الشقيقة الصغرى لشق توأم لعائلة توفي الوالد فيها وهي لم تكد تبلغ السبعة أعوام من مرض السرطان، ولم يكن له علاجٌ أو محاولة علاجٍ وقتها.. كبرت، وحصلت على درجة متفوقة في الثانوية العامة، لكنها لم تتعلم لظروف العائلة وقتها.. كبرت وتزوجت، وأنجبت معاذ في بادئ الأمر..

معاذ الذي أحيط بأبي وأمٍ دون انتماء سياسي إذ قررا أن تربية المولود الجديد أسمى من اعتناق فكرٍ قد يردي بهما في غياهب سجون المحتل، وتنشئة طفلٍ من تنشئة الدولة..

معاذ الذي أتبع بشقيقةٍ بعيد عامين وأخرى أنت متأخرة بعد تسعة أعوامٍ عنه، وقد عانا -رغم وجود شقيقاته- من الوحدة..

لم يكن هو من اختار اسمه ولا اسم أبيه، ولكنه اختار أن يلصقهما معا بعد مدة، لم يختَر أن يولد في قرية بدأت للتو مرحلة المراهقة بعيدا عن أزقة المدينة، ولو كان اختياره لاختار أن يولد بجانب البحر، أو سيكون الله راضيا عليه جدا لو ولد على زورقٍ من أبي بحار وأم تببيع الأسماك

في الشارع، لا شيء؛ ولكن لكي يملكه إلى تلك الدرجة  
التي تجعله يملكه ويرفضه، لا أن يعيش بعيداً عنه يحرم  
منه فيزيد تعلقه به.

أوليس التعلق بالأشياء هي أكبر جريمة نرتكبها بحق  
أنفسنا وبحق الأشياء، والتعلق فوضوي تماماً، أن تتعلق  
بشيء لا تملكه أرحم من أن تتعلق بشيء هو لك.  
وخسران الشيء بعد امتلاكه أفسى من عدم امتلاكه  
ببساطة..

تعلق بشجرة التوت وغرفته الصغيرة في بيت جده إلى  
سن الخامسة، ثم ما كان إلا أن ابتلع بيتهم الجديد بغرفة  
الثلاثة والحمامين ذكريات السنوات الخمس الفائتة.

والبقايا، بقايا البيت والعطر والذاكرة.. هي من توجعنا  
ونرجعنا إلى ما كان يمكن أن لا نفقده أبداً..

لذا أرجوكم.. احرصوا أن تكون هداياكم لمن تحبون شيئاً  
من قبيل الزخارف، الأواني الزجاجية، الرسائل، الورق..  
أشياء قابلة للحرق والانكسار في لحظة غضب لينتهي  
مصيرها إلى أبد الأبد.. توقفوا عن إهداء أشياء تبقى  
عالقة للأبد، سنسال، دعابة، ضحكة، موسيقى، أغنية،  
قبلة.. والأهم.. ابتعدوا عن إهداء الذكريات..

والبحر.. لغته، شظاياه، وانكسار قلبه لنصفين، زورق  
وشراع هو كل ما كان يبغى.. أكان كثيرا عليه ذلك؟

لم يطلب من والديه السفر إلى بحر لينجبانه هناك ونكن..  
كان يفكر مرارا ألم يكن بإمكانهما التريث ولو قليلا إلى  
ألف عام. أخرى يذوب فيها ثلج القطبين كاملا ويفرق  
الأرض بالماء، لتصبح الأرض بحرا ثم ينجبانه أينما  
شاءت زوارقهم..

أو لو لم يبقى في أصله دون تغيير في المادة، ماذا لو  
بقي مجرد ماء، قطرة فقطرة، دون ذلك التكوين الإلهي  
ليصبح على ما هو على شاكلته الآن.. إنسان بلا حيلة،  
واحتمالية إصابته بمرض عضال يقتله أكبر من احتمالية  
أن يكون سعيدا يوما كاملا؟! ماذا لو خلق في الأصل  
حبة مطر، حرة، نقية، تتلوث، ثم تعود إلى ما كانت عليه،  
دون أن تضطر إلى التريث والبقاء في سبات والتفكر  
كثيرا في كل ما حدث وما لم يحدث..

كبر، وازدادت فقاعات الحياة معه، كلما كان ينتقل من  
مرحلة تنبت إحداها وتتفجر في الوقت الذي يكون فيه أقل  
ما يكون جاهزية لانفجارها..

في السنة الأولى نه في رياض الأطفال، ظلُّ لفترةٍ طويلةٍ  
جداً غير قادرٍ على التأقلم مع أحدهم، وقد اعتاد الجلوس  
في المقاعد الأخيرة غير مبالي. إلا بالساعة التي اعتلقت  
الحنط زاجياً إياها كل يوم أن تصل الثانية عشر ليهرب  
إلى حضن أمه..

ظلُّ الأمر فترةً طويلةً جداً، إلى أن استطاعت إحداهن أن  
تغفله أثناء جلوسه على الأرجوحة وقامت بهزه مرارا  
وتكراراً دون مقترعة منه على النزول، وبعد يومين، جلس  
ولأول مرة مع إحداهن وقد ناصفته شطيرتها المصنوعة  
من الحلوى وقد منعتة إياها أمه لتلف أسنانه وقتها..

وعاد إلى البيت يومها وكان الحياة نبت فيه قبل دقائق  
ولأول مرة رأت أمه الحماس في عينيه صباح اليوم التالي  
وهو يتحضر للذهاب لرياض الأطفال..

واستمر ذلك الأمر ما يزيد عن عشرين يوماً قبل أن يحلُّ  
الصيف وتأتي العطلة.. وقتها، كان قد قرَّر أن يعيد معاذ  
رياضه بسبب ضعفه في القراءة..

وقتها، لم يع. الأمر جيداً وانتظر طيلة الصيف انتهاءه  
ليعود إلى رياضه من جديد، لكن أماله خُيبت في اليوم  
الأول حينما أدرك أن رفيقه القديمة لم تعد في رياض

الأطفال بعد الآن..

في السنوات المدرسية الست الأولى من حياته، كان قد عانا من خجله الشديد وتأتته في بعض الحروف.. الأمر الذي زال في الصف السادس حينما قرر لأول مرة أن يشارك في مسابقة للخطابة كانت قد أعنت نطلبة المدارس وقتها..

لكن التحول الكبير في حياته بدأ حينما انتقل من المدرسة إلى الجامعة ومن المحيط المغلق إلى الساحة المفتوحة، ذلك ما جعل حياته تأخذ منحى آخر..

لم يكن مثقفاً أو ذكياً أكثر من اللازم، إلا أنه كان مختلفاً وكانت تلك المصيبة..

لسانه الذي لم يكف يوماً عن قذف السنة النار على المجتمع، الأفراد وعلى السلطات جعلته محط أنظار الكثيرين ..

قبل انتخابات جامعته الأولى، وبعد أن كان قد لذع الفصائل المشاركة كلها، حقد أحدهم عليه وقد تعرض لتهديدات كثيرة، نفذت منها إحداها حينما ضرب من مجموعة من الشبان في ساعة متأخرة في أحد شوارع رام الله..

انتقاداته غير المدروسة للسلطات جعلته صيدا .. ومراقبته  
مجموعة من الطلبة أثناء نزولهم إلى أحد نقاط التماس  
كاشفاً الغطاء عن وجهه جعل منه فريسة سهلة ..

زادت الأمر سوءاً صداقته العميقة مع أحد الناشطين في  
أحد التنظيمات السياسية المعارضة للسلطات إذ اتضح  
أنه ذو مكانة عالية في التنظيم وقد حاولوا اعتقاله لمرات  
كثيرة قبل أن يلقي الجند القبض عليه من باب بيته ..  
اعتقال صديقه جعل الشكوك تكبر باحتمالية شراكمته في  
التنظيم ذلك ..

أما كتاباته التي لم تكف عن الانتقادات الكثيرة فكانت ما  
جعله في منظار قاصب قد يطلق عليه النار في أية لحظة ..  
في السنة الثانية، وبعد أن كان قد انتقد أحد مناظري  
الكتل الطلابية مستهزئاً به، أجدت له العدة .. لكن وقوف  
مجموعة من الشبان إلى جانبه حال دون الكيل به ..

ثم ماذا؟ ثم بعد كثير من الانتقادات، الشكوك والتهديدات ..  
أصبح هادئاً وترك الأشياء جميعها .. هدوءه ذلك لم يجعل  
الأنظار تكف عنه، بل زادت خوفاً من هدوءه ..  
أما الآن فيجلس بجانب علي ونهاوند ..

أما نهاوند فقصتها مختلفة جدا..

الجد الأكبر الذي عاش في عين الزيتون، إحدى القرى التابعة لصغد، وتبعد عنها ميلاً واحداً، وبعد أن بلغت الأخبار أهل القرية أن عصابات الهغانا، وبعد أن تسلمت من البريطانيين معسكري روشينا وفيلون وقد قامت بتأمين طريق يصل ما بين الحي اليهودي وبلدة عين الزيتون. وبدأ الجند والأسلحة بالتدفق من هناك.. قرر الجد الأكبر الفرار من القرية مع عائلته حفاظاً على أرواحهم ريثما تهدأ الأوضاع ويعودون.. ورغم محاولاته الكثيرة في إقناع ولده الأصغر بالفرار معهم، إلا أنه عاند كثيراً، وبقي هناك ليلقى حتفه مع الذين لقوا حتفهم..

الجد الأكبر لقي حتفه هو الآخر من مشقة سفرهم، ودفنت جثته في مكان ما بعيداً عن القرية، وترك العوائل التي نلتها دون أحد يقرر عنهم، الأمر الذي أوردى بهم مشقتين على أربع أبناء.. اثنان منهما مع عائلتهما هاجرا شمالاً مع الجماعات التي قررت أن لبنان هو الخيار الأفضل في تلك الوقت، واحد ضل الطريق مع زوجته، ولم يسمع عنه خبر من وقتئذ، وواحد قرر أن البقاء مشرداً في هذه



البلاد خير، وأن التشرّد في الوطن ليس تشرّداً، وظل  
لفترة ليست بالقصيرة يتّردّد بين الأماكن حتى أن استقرت  
إحدى عوائل السلالات في مدينة البيرة..

وكن صالح «الأول» صالحاً جداً وطيب القلب أكثر  
من اللازم، فبعد أن ورث أراضٍ وبيت كان لواده الذي  
قد توفى في صغره، كد واجتهد وقد نمت تجارته شيئاً  
فشيئاً، في الثالثة والعشرين تزوج من فاطمة التي أنجبت  
ابنة وحيدة اسميت سارة، ولما جاءت لتنجب أخوها بعد  
عامين وقعت أرضاً، ومات الجنين ومات رحم فاطمة  
وتم تنجب بعد ذلك..

وكانت سارة، الطفلة المنللة لأبيها، الذي رغم الغصة في  
قلبه لمعلم إنجاب ذكرٍ يحمل اسم العائلة أحبها كما لم  
يحب أحداً..

وكان عمرها خمس سنوات لما أتى عمر إلى البيت، الذي  
خُيّل وقتئذ ملاكاً بعنه الله لصالح جزاءً على صلاحه.  
ففي ليل خريفية، ولما سمعت فاطمة باب البيت يدق  
اتجهت إليه وفتحتّه، ولم يكن هناك أحدٌ على الباب إلا  
طفلٌ قد لفّ بغطاءٍ أبيض..

وصرخت فاطمة فلبى صالح صراخها، ولما رآه ضمه  
إلى حضنه وخرج به ملقاً بناظره باحثاً عن وضعه..

وحار فيه، وكان رضيعاً على ما يبدو أنه لم يتجاوز  
الأسبوع منذ ولادته، وكان هزيلاً.. لكن صالح أطيب من  
أن يلقي به جانباً، وقد رآه طفلاً أرسله الرب له..

وقتها.. سارع صالح إلى أقرب مشفى سائلاً عن إجراءات  
تسجيل المولود الجديد، متحججاً بأن امرأته قد تعبت  
يومها، وأنجبت ذايةً الحي عمر..

وسجل على اسمه، وقد تقبله كل من في البيت إلا سارة،  
تلك التي حاولت مراراً وتكراراً قتله.. لكن والديها كانا  
يحميانه دائماً ويؤنبانها « هاد زي أخوك يا سارة »..

« هاد لقيط » ظلت لسنوات سارة تردد الأمر.. لكن  
صالح الذي كان يشفق على الطفل -ابنه الآن- كان يردد  
« هاد أخوكي، وبعد ما أتوفى رح يورثني زي ما راح  
تورثيني ».

وكبر الطفل وبان شقاره وكبر صالح كثيراً وهزل  
وضعت تجارته وباع أراضيه كلها ومات حزناً على  
زوجته التي قد سبقته..

وكان ما حدث، أن ورث عمر البيت المتبقي كاملاً،  
والقيت سارة فارغة اليد في بيت زوجها بعد أن زور  
عمر أوراقاً تثبت تسجيل والده للبيت باسمه..  
وحاولت سارة إنكار الأمر مراراً «هاد لقيط، مش  
أخوي»..

لقد كان بيتنا كبيراً.. لكنه لم يكن ليتسع لعائلتين معاً..

وأنجبت سارة صالح، الأخ الأكبر إلى جانب ذكرين  
آخرين وأنثى.. ولما أن جاءها الموت روت قصة البيت  
تلك لحفيدتها نهاوند.. «لازم نرجع البيت يا ستي، هاد  
مش بر بيت.. هاد وطن».

أما صالح.. ففي بادئ عمره كان ثورياً جداً. في  
الثانية عشر من العمر ألقى أول حجر على سيارة مجنذة  
مرت من جانب بيتهم، في الثالثة عشر سجن لعدة أيام  
على أمور مشابهة، في الخامسة عشر انضم إلى أحد  
الفصائل المسلحة في ذلك الوقت بعد أن استطاع بطريقة  
ما الحصول على بندقية تعود للحكم العثماني، ومسدس  
اشتراه بعد أن باع قطعة ذهب لأمه دون أن تعرف..  
وظنت أنها أضاعتها وقتها.. في السابعة عشر من العمر  
كان من الأسماء المطلوبة لإمساكه زمام الأمور في

الفصيل ذاك.. في العشرين من عمره اعتقل، وكان ذلك  
بداية التغيير الجذري له..

في الرابعة والعشرين من عمره خرج من سجنه بصفقة  
تبادل أسرى تمت ما بين السلطة وبين الكيان الإسرائيلي،  
وقتها ليخرج صالح ويصبح ضابطا عسكريا في أحد  
أجهزة السلطة..

لقد ذاق في سنوات سجنه ما لم يذقه أي سجين آخر، وذلك  
لعلاقاته الكبيرة في الحزب وأعماله التي طالت مراكز  
حساسة للأجهزة الأسرائيلية..

ولما خرج من سجنه وأصبح ضابطاً، ثم مديراً لأحد  
مراكز الأجهزة في رام الله، ذاق من وقع تحت يديه من  
إبناء شعبه ما لم يذقه من وقع تحت يد ضابط آخر، لقد  
كانت تحقيقاته كمن يحقق معه الشيطان نفسه..

كثيرون هم الذين جلدوا تحت ساعديه، كثيرون من بكوا  
نمأ، وكثيرون من أصيبوا بإصابات بالغة.. وكانت مهمته  
دوماً - ذلك الذي ظل يقارع الكيان اليهودي لفترة ليست  
بالقليلة- وقف أي أنشطة توجه ضد الكيان الإسرائيلي..

لم يشكك أحدٌ في وطنيته، لكن ما معنى أن تقارع أحدهم  
يوماً، وأن تصفع من يحاول مقارعتة في يومٍ آخر؟! إكان

أمره مبهما كثيرا..

وكان قد كُون عاتلة وقتها مع أم معلمة في أحد مدارس  
الغوث، وقد أنجبا أربعا من الإخوة، أولهما ذكر والباقي  
إناث..

وكتبت نهاوند الأنثى الثانية.. وقد عانت والنتها أثناء  
إنجابها من عسر الولادة. قال الأطباء وقتها أن الحبل  
السري قد لف على رقبتها مقللاً حركة الدم باتجاه رأسها،  
وكان شيئاً من الجنون أن يقول طبيب ما أنها حاولت  
الانتحار قبل أن تأتي، وقالوا أنهم أنقذوها من الموت  
المحقق وقتها، هم ظنوا أنهم فعلوا..

وولدت نهاوند أخيراً، وقد تعلقت بعمها الأصغر الذي  
اعتاد السفر والعودة إليها محملاً بالحب والحقائب التي  
امتلات بالدمى لها، كانت الدمى بالنسبة لها هاجساً  
وولعاً..

وكان يبدو عليها ملامح الذكاء منذ أن استطاعت إتقان  
الحديث قبل أن تبلغ العام، وفي الوقت الذي كان فيه  
الأطفال لا زالوا يشاهدون الدمى المتحركة، كانت  
وقد بلغت من العمر السابعة قد أدمنت مشاهدة الأفلام  
ومحطات الأخبار، في الثامنة شرحت لولادتها كيف قتل

الجند طفلين دون حراك منهما وطأبتها بالتحريك لأجنهما،  
لا عجب أنها تدرس القانون الآن..

إلا أن السبب الرئيسي الذي جعلها تدرس القانون كثر  
أباها، أيدرس أحدهم القانون ليحاكم والده يوماً ما على  
تصرفاته في صغره؟!!

في العاشرة من العمر حينما مدت يده عليها، وأنهكها  
ضرباً على أمرٍ لم تعد تذكره الآن، لكنها تذكر رجفات  
يديها واختباءها في زاوية للغرفة تبكي أكثر من ساعة..

في الخامسة عشر، حينما فقد والدها مبلغاً من المال،  
وكان ابنه من أخذ ذلك المال، وألقى عليها التهمة، وقبل  
أن تنطق بأي حرفٍ ضربها، وصمتت.. صمتت ذلك  
اليوم، ولم تنطق بحرف يردع عنها الضربات، ظلت  
صامتة.. طويلاً.. حتى اليوم..

في السابعة عشر من العمر، كان الأمر قد حسم، ستكون  
لباهي- الذي يكبرها بأربع سنوات - زوجة فيما بعد،  
الابن المدلل لصديق والدها وصاحب الشركة التي قد  
أسسها قبل عدة سنوات، ودون أن تعطي أي موافقة تم  
الأمر خطابياً..

ومن وقتها بدأ يتردد على البيت مرارا وتكرارا، يسأل عن أحوالها، يأخذها في جولات معه، يدرسها، يهاتفها .. هكذا حتى اعتادت الأمر وأصبح غير قابل للنقاش..

الغريب في الأمر، أن الابنة الراضة لعمل أبيها في أحد أجهزة السلطة كانت قد خطبت لباهي الذي يعمل في الجهاز نفسه، لم يكن الأمر زواجا أكثر من ما كان تبادل مصالح..

والابنة الثائرة -على ما كان يبدو- على السلطة وقتها، تبقى - في نهاية الأمر- ابنة رجل في السلطة.

فكرت في الأمر مرارا وتكرارا، كيف لها أن تثور على سلطة أبيها الآن وهي في نهاية الأسبوع تأخذ مصروفا منه، كانت تحتاج إلى الاستقلال الذاتي قبل الثورة وقبل التحرر، في الواقع، كثيرون من يحتاجون إلى الاستقلال الذاتي قبل التحرر.. ربما لم تكن تتأقلم عم الوضع القائم، ربما كانت تؤسس نفسها لمرحلة أخرى، ربما الاعتراضات الكثيرة في وقتها كان مفروضا عليها ربما لم تكن ترضخ وإنما كانت تحاول كسب الوقت إلى أن يشتد عودها، لكن في نهاية الأمر.. تبقى ابنة سلطة.

العائلتان اتفقتا أنهما سيتز وجان بعد هنيهة، عندما تبلغ هي التاسعة عشر، سيكون هو قد أسس عمله وسيتم الأمر..

نهاوند.. الفتاة الرمادية، التي تنعزل على نفسها كل فترة، تتفوق إلى الحد الذي تتداخل فيه أقدامها مع عنقها.. حتى قد تتسع لها علبة كبريت..

إنها تتجه إلى الظلام تلقائياً، لقد خلقت في سابق الأمر خفاشاً..

صامتة كجسر معلق يكاد يسقط، ويدوسه المارة ولا يعودون إليه أبداً، ويقضي معظم وقته وحيداً، كشارع يوصل الجميع إلى بيوتهم ويبقى هو خارجاً كانت هي.. لا أحد يعرف ذلك السر الذي تخفيه، ولا أحد يشعر بالخوف الذي يدب فيها ليلاً ونهاراً..



علي، الابن الوحيد لفؤاد، فؤاد محمد علي راجي العلي..  
تبدأ القصة الواضحة من راجي العلي، تاجر القماش في  
بندى العمر، الذي وبعد أن توفت زوجته الأولى دون أن  
تتجب، ورث عنها أراضٍ في مناطق متفرقة من أراضي  
المنية، وإذ بدأ الزحف الصهيوني على البلاد الفلسطينية،  
وقد بدأ زحف بعض من أهالي رام الله نحو الشقعات  
ناجين بأموالهم التي قد أخذوها ثمناً لأراضيهم. كان  
راجي العلي قد تملك مساحات شاسعة من تلك الأراضي  
التي قد باعها مالكوها بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا  
فيها من الزاهدين..

وبعد أن تملك كل تلك الأراضي.. أورثت لابنه الوحيد  
علي الذي قد جاء في كهولته وأصبح دون أدنى مشقة  
منه من ملاكي رام الله، ولتكتمل القصة دون أي معيق،  
فقد أنجب ثلاثة أبناء اثنان منهما غادرا البلاد بسرعة في  
أوائل الحرب الجديدة، ليورث محمد الأرض كاملة دون  
نزاع..

وتتالت التوريثات إلى تملك فؤاد ثلث الأراضي، وقد باع شيئاً منها لإقامة مشاريع اقتصادية ازدهرت بعد مجيء السلطنة في الثالث والتسعين، وما ورثت فتاة قط..

وجاء علي من أب موسع، وأم من بيت ريماء تعرف عليها والده أثناء عملها في إحدى المستشفيات وقد مرض، وكف عنها عملها وتزوجها.. وأنجبا..

علي، الذي خلق وفي فمه معلقة من الذهب وعلى رأسه أيضاً فقد كان أشقراً، ورغم دلال العائلة الزائد منذ صغره باعتباره الطفل الوحيد إلا أنه كان رجلاً من صغره، ولما كبر زاد رجولة..

في الرابعة عشر من عمره بدأ تطلعه لامتلاك الأشياء وإثبات نفسه، فقد طلب من والده أن يعمل في إحدى شركاته، لكنه قوبل بالرفض إذ ارتأى والده أنه ما زال صغيراً جداً..

في التاسعة عشر من عمره، افتتح متجرًا صغيراً للألعاب الرياضية بأموال قد جمعها من مصروف كان يعطيه إياه والده وقد كان زهيداً، لكن مشروعه لم يدرر بما يكفي من الأموال وقتها وأغلقه بعد مدة..

الآن ما هو ينرس التجارة في الجامعة.. محاطا بأعين  
كثيرات اللاوتي صوبن أعينهن عليه، كانت فتاة  
أحدة من استطاعت شبكها الإمساك به.. حاول لمرات  
بمرات النبوح لها بحبه.. لكنه كان يرتجف في كل مرة  
ينفقد لسانه.. ذاك ما جعل علاقتهما تؤول في النهاية إلى  
سداقة فقط..

## LouB

..

ي حديفة الاستقلال كان ثلاثتهما يقومون بالأعمال معا  
يضحكون كثيرا، تلك الضحكات التي ستستمر لاحقا  
وقت ليس بالطويل، لكنه سيخلف ذاكرة خصبة لثلاثتهم..  
ماذا يمكن أن يحدث لو التقى شابان يشبهان بعضهما إلى  
رجة كبيرة، بامرأة لا تشبه أحدا؟.. تلك قصة أخرى..

في ثاني يوم من العمل في حنيقة الاستقلال، كنت قد  
ازدانت جمالاً هي بينما هما كانا قد بدا بالتعلق فيها  
أكثر والاستمتاع بضحكتها.. ولما جلسا جانباً بعيداً عنها  
للحظة، قال علي موجه الخطاب لمعاذ:

- تخيل نحب نفس البنات؟

وضحك الاثنان كثيراً و هما يطرقان بيديهم.. ثم رد معاذ:

- وتفرق بينا؟ ونبطل نصحاب ونتقاتل؟

ثم زالت قهقهتهما كثيراً إلى الحد الذي قد سمعته هي  
عن بعد..

- تعالوا اشتغلوا بدل ما انتوا كاعدين بتضحكوا..

وقد نظر الاثنان إلى بعضهما ثم قالوا معاً:

- أكيد مش هاي..

ثم نهضوا..

لم تنتهي صداقتهم بانتهاء العمل في حديقة الاستقلال، بل على العكس فقد ازدادت صداقتهم كثيراً، وبدأ بالالتقاء مرات كثيرة ولفترات طويلة جداً تكاد لا تنتهي، وإذا انتهت تبدأ مرة أخرى بعد وهلة..

في الجامعة، في مقهى في رام الله، حديقة الاستقلال، في الشوارع، في مطعم ما، وفي كل مكان كان يمكن أن يتلاقوا فيه.. وحتى إذا ما افرقوا فإنهم يكملون حديثهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي أو الهاتف..

لم يتخاصموا يوماً واحداً، كان كل شيء يسير بصورة مثالية أو أقرب إلى المثالية، رغم أنهم ثلاثتهم- مختلفون بأفكارهم السياسية..

فعلي كان يرى بعد ثلاثة عشر سنة من المفاوضات- أن المفاوضات السياسية هي منبع كل شيء، وأن السلطة الحاكمة تعرف ما تقوم به، وأننا نسير بالاتجاه الصحيح، وأن إطلاق حجر على نياحة ليس بالأمر الحكيم بتاتاً، وأن لا قوة بيدنا تجعلنا نواجه المحتل بغير السياسة..  
نهوند كانت تلعب السلطة مراراً وتكراراً وتلعب والداها معهم، كانت ثورية جداً رغم ضعف عودها وضعف

قلبي، لكن من ضعفها تتشقق الحياة فتخرج.. وكلما  
تخرج علي بعدم وجود سلاح. كانت ترد أن سلطته هي  
من قامت بنزع السلاح أصلاً..

أما معاذ، فكان هادناً في معظم النقاشات، متحججاً بأنه  
لا يريد الدخول في نقاشات كهذه دون فائدة مرجوة، بعد  
كل تلك المشاكل التي كادت أن تؤدي بحياته.. فمعاذ  
الذي كان ملتصقاً في الدين إلى حد كبير جداً، كان  
يرى أن الله يروث الأرض وما عليها لمن يشاء، وأننا  
إننا كنا ضعفاء ولم نستطع مقاومة السلطة قبل الاحتلال  
فلا ننب للاحتلال باحتلالنا ولا للسلطة بالتسلط علينا..  
في النهاية إنها مسألة سيطرة وفرض قوة، وأي كانت  
الطريقة فالغلبة للأقوى..

\*\*\*

بعد أن أمضينا عشرة أيام. إضافية مع بعضهم بكل لحظة وما فيها من الضحك والحياة، اتصل علي يوما على معاذ:

- وينك؟ لازم اشوفك ونحكي شوي..

- في إشي؟

- لا بس تعال

\*\*\*

إلى جانب كلية التجارة في الجامعة كانا قد جلسا بعد أن  
حضنا بعضهما كالعادة

- كل إشي تمام؟

- انت حُسن إن كل إشي تمام؟

- إيش في؟

- نهالوند

- مالها؟

- من مالها هي.. مالنا احنا! معاذ بعرف إنك بتحبها،

من هون المشكلة.. المشكلة إني كمان أنا بحبها..

وكانت تلك بعثبة صدمة كانت توجل من كليهما، كانا

ينركن الأمر منذ عدة أيام لكنهما حاولا عدم تصديقه،

كلما يقطر السقف أكثر يقول أحدهما أنها لا تمطر ويرد  
الأخر أن السقف لم يتلف بعد.. لكنها الحقيقة لقد وقع  
الاثنان في شركٍ واحد، كانا يعلمان..

ولما رأى معاذ على قد يبس وجهه، أطلق قهقهة ثم وضع  
يده على ظهر صاحبه وربت عليه:

تخيل نحب نفس البنت؟!!

وتفرق بينا؟ ونبطل نصحاب وندقاتل؟

نم زابت قهقهتهما كثيرا.. وتعانقا..



في يوم التالي بدأت الأشياء تأخذ منحني آخر حينما  
 دون الإنسان تخفيف ما يحدث، وإمساك زمام الأمور،  
 على لم يذهب للجامعة أصلاً متحججا بأنه مريض قليلاً،  
 وأما معاذ فهاتف نهاوند وباح لها بأنه لن يستطيع الإلتقاء  
 بها في هذا اليوم لانشغاله بعدة أمور..

كانا يحاولان أن يستيقظا من الأمر.. لكن أحداً لم يقدر..  
 ثلاثة أيام ظلّا على هذا النحو محاولين الهروب من  
 الواقع.. عبثاً كانا يحاولان..

ولما التقيا في اليوم الرابع احتضنا بعضهما ثم جلسا،  
 وأشعل كل واحد منهما سيجارة، ثم استنشقاها وتحدثا..

- وإيش هلقيت؟

- منافسة شريفة؟

- وشو ما صار بنخسرش بعض؟

- مستحيل أخسرك معاذ.. بخسر حالي وبخسر كاش..

ولما أدلر وجهه سأل معاذ

- والنت الي كنت تحبها؟

- ما بعرفش معاذ..

رعات المياه لمجاريها، وعاد ثلاثتهم بالالتقاء مجددا  
ومجددا ومجدداً ..

إلى جانب كلية التجارة، وتحت شجرة من أشجار السرو  
التي طال عنقها كثيراً كانا قد جلسا، نهاوند ومعاذ..  
ممسكا بحقيبتيه متلبكا، وقد نظر إلى عينيها وقد كانتا  
حزبتين:

- كيف باهي؟

- منيح.. ناوي يخطبني رسمي عالصيف هاد  
وكان ذلك قد حرك شيئاً بداخله، وجعله يتلبك أكثر بعدما  
وضع الحقيبة جانباً، وشبك يديه..

- ممكن أحكي إشي؟

- اه طبعاً.. إيش في؟

- بتعرفي لما واحد يكون كل إشي مش منيح في حياته  
وبعدها بصير كل إشي يبين إن منيح مع إنه مش منيح  
بتنأ.. بس لأنه في شخص واحد دخل عحياته .. إيش  
هاد معناته؟

- ما فهمتش..

- عمرك حسييتي إن الأرض بتلف بسرعة؟! وإن الهوا  
برضو سريع، وإن الدم بلف بجسمك بسرعة، وإن  
قلبك يادوب ملحق، وإن إنت بدك ترقصي كد ما إنت  
مبسوطة؟

- ما بعرف .. ما فهمت .. ايش بتحاول تحكي؟  
- اني بحبك مثلاً ..

« صديقي الجميل معاذ، أولاً سأشكرك لأنك بُحثت لي بالأمر بطريقة جميلة ودون أي إزعاج بتاتا. ثانياً، إن الأمور الجميلة تحدث في وقت غير مناسب تماماً، أنت تعرف أنني أكرُّ لك مشاعراً، ولن أفصح عن ماهيتها.. لكنك تعرفها، لكن الوقت غير ملائم بتاتا، سأخطب عما قريب، ولا أريد لصداقتنا أن تنتهي.. نحن لن نكون بعضنا يوماً، لذا.. أرجوك، ابق بالقرب مني ولا تذهب، ذع الأمور تحدث كما ينبغي لها أن تحدث».

إن قد وجد هذه الكلمات في رسالة على هاتفه..

\*\*

- لمحتلي إنها بتحبني..

- ولمحتلي إنها بتحبني أنا معاذ.. وحكت.. حكنتلي إنها بتحبكش.. وإنك مجرد صديق..

- ما بعرف.. الأمور مخربشة براسي علي..

\*\*\*  
2016/5/24

كانت الأشياء تحدث بسرعة، إلى ذلك اليوم حينما شعر  
معاذ أن شيئاً غريباً ما يحدث.. فقد وصل الساعة العاشرة  
للإلتقاء بهما وكانا جالسين وبعد أن سلم عليهما..

- زمان الكم؟

- اه تأخرت.. اتفقنا عالتسعة..

قالت نهاوند، فحذق معاذ بعلي، وتذكر أنه من قال له  
البارحة أن يأتي تمام العاشرة..

بعدما وضع حقيبته وهاتفه جانبهم..

- بدي أروح أشوف المكتبة، في كتاب لازم أجيبه..

- مش رح أطول..

- طيب خد شننك وتلفونك..

- خليهم شوي.. مش رح أطول..

- يازلما خدهم..

كان قد وصل أعلى الدرجات حينما أعاد تكرار الجملة «  
مش رح أطول».

- منيح إلی اجیت.. وهاد بدکش انطول؟

- رحبت شفقت الدكتور شوي..

ممسكاً بهاتفه واضعاً سماعته في أذنيه وقد جلس على  
إحدى الدرجات بينما كان علي يتلذذ بسيجارته ونهاوند  
كانت تروح وتجيء ممسكة بالكتاب تتمم بكلماته..

وبعد عشر دقائق.. التفت معاذ نفسه ثم ودعهم وذهب..

ليلتها، وصلت رسالة إلى كليهما، تقول بأنه ينسحب  
من الأمر، وأنه ما عاد يستطيع التحمل..

.. معاذ إيش في؟

- كان لازم أنا أسالك هاد السؤال.. ايش صار هناك؟

- معاذ هاي بتلعب فيك.. انا بديت أفهم.. بتحاول

تضحك علينا الثنين، إيش حكنتك؟ فهمني بس؟ لمحتلك

إنها بتحبك و عملت نفس الشيء معي..

- ايش صار لما أنا رحنت على المكتبة؟

- ولا إشي.. كنا نحكي..

- وما حاولت تعمل إشي؟

- إيش؟ مجنون انت؟ هي بتضحك عليك..

- ما حكيت معها ولا إشي..

- والا كيف عرفت؟

- نسيت تلفوني معكم، وشكلي كاين ناسيه بسجل

صوت..

- إتفقنا إن المناقصة شريفة معاذ..



بعد جدال طويل يومها، استمر لما يزيد عن ساعتين، جدال انتهى وقتاً جميلاً لم يكن بالفصير بتاتاً بين صديقين..  
كان الأمر قد اتضح.. هذه العلاقة ستأخذ منحني آخر..

في نهاية الأمر، كل الأمور توّول إلى صراع على العرش وعلى السلطة وعلى التملك.. حتى في الحب.. والجميلة التي افتعلت أول حرب في التاريخ بين ابني آدم ولم يُعرف ما حدث لها في باقي الحكاية عانت الآن وافتعلت حرباً بين صديقين..

لم يكن ذلك الحب إلا منافسة أخرى بينهما، للذي قد يصل إلى قلبها..

الصديقان اذنان ابتدأت صداقتهما بمنافسة انتهت بمنافسة أيضاً دون أن يربح أحدهما، لقد خسرا ما لن يستطيعان تعويضه أبداً، لقد خسرا الثقة بينهما..

وبدأت السحابة تنكشف رويداً رويداً، علي الذي كان سياسياً يحاول جعل الأمور تنصب إلى مصلحته في النهاية حتى ولو كذباً.. وقد كان قد قال لمعاذ بأنه نسحب من الأمر قبل أن يقنعه معاذ بالمنافسة الشريفة

تتم، ثم حاول هو الوصول إلى قلبها بسيف نضرو..  
نسبة.. في مكان ما راقصها وأقرب من الشب وهمس  
«أحبك» لترد هي «اصطنعتني ان استصفت». في مكان  
آخر احتضنها حتى كانت أن تنصق عظامهما، في مكان  
ثالث باح لها بأن معاذ مريضٌ نفسياً، في مكان أخري باح  
لها عن سمعة معاذ التي بدأت تتطخ في الجامعة لعلاقته  
الكثيرة.. واتضح فيما بعد أنهما كانا يتلاقيان في كل صباح  
بعيدا عن عيون معاذ..

معاذ الذي حاول تملك قلبها بغزله، بمداعباته، بلطافته  
معها، كان قد حلل وقتها الأشياء الكثيرة التي حرمها على  
صديقه، مكالماته لها ليلاً، امسك يدها كلما حاولا قطع  
الطريق متحججا، ابداء فضله على صديقه بأشياء كثيرة،  
والحديث معها عن علاقة صديقه السابقة باحداهن .. حتى  
أنه كان قد حلل التلصص على حديثهما باعتبار أن الأمر  
سيوضح أكثر..

أما نهاوند، فكانت في تلك اللحظة الأكثر غياباً، لم يكونا  
يعرفان أكانت تتلاعب بهما الاثنان أم كان مجرد ضعف  
منها، أم أنهما الاثنان فهماها خطأ ..

في النهاية، وبعد أن اتضحت الأمور تلك، خسر الاثنان  
لحرب وانتصر من لم يخضها .. باهي ..

لبيه هو الحب بالوطن، يتقاتل أبناؤه على من يحكم  
لأمر في الوقت الذي يملكه الأعداء ..

لقد خسر ثلاثهم ..

مد يومين، علي خرج من الأمر راجياً منهم الخروج  
ن حياته ..

ما معاذ فكان يحتاج إلى أي شيء يبقيه حياً .. لقاء واحد  
غير ما كان يبغيه ..

حدث ذلك ..

- معاذ هاي عاهرة، حاولت تخرب بينا .. هاي مريضة  
نفسيا يا معاذ، تستبعدش تكون محاولة اسقاط النا ..  
معاذ ابعدها عنها ..

- ابعدها عنها لتؤخذها انت؟

- هاد الي بتفكر فيه !! ..

الامور كلها محاولة للوصول الى العرض ليس أكثر ..

كما كنا قد اتفقا أن ينتقيا لآخر مرة بعد كل ما حدث  
وكان لا شيء قد حدث.. وأن يكون ذلك اللقاء الأخير  
بينهما، أمام عاصمة التنسيق الأمني المقدس، على نفس  
الرصيف، بجانب الإشارة الضوئية كان قد انتظرها  
وحيدا هذه المرة.. لعشرين دقيقة ظل، متلبداً يستجدي  
الله أن يمن عليه بشيء يطيل الوقت حتى يكاد لا ينتهي،  
وكيف بإمكان أحدهم أن يترك كل شيء وراءه وهي  
كل شيء؟! ولما رآها قطع الشارع ذاك حتى قد وصل  
إليها، ونظر إلى عينيها دون النظارة تلك، وأمد يده إليها  
فالتقطتها، وقطعا الشارع مسكين بيدي بعضهما، وظلا  
طيلة الطريق من الإشارة الضوئية حتى الحديقة تلك  
مسكين بيدي بعضهما دون أن ينطقا حرفاً، كانا مبهمين  
إلى درجة تجعل أحدهم لا يظن أنهما سيفترقان إلى الأبد  
هذه المرة بعد عدة ساعات..

وجلسا على مقعد خشبي هناك، وتحرك حاجبه بعدما رسم  
على شفتيه ابتسامة، وكانت فاتنة، وكان عاشقاً..

وسبحان من لا يُحمد على مكروهه سواه، وسبحان الذي  
خلق الأنام وخلق وجهها، وسبحان الذي رسم فيه كونا

اخرا.. وسبحان من أنزل على قلبه الرحمة على هيئة امرأة، فأتانا له أن ينزعها الان؟!!

حلق فيها، تفحص ما بان من الجسد الذي قد عتق جمالا، كمن يرى النص لآخر مرة محاولا حفظه عن ظهر قلب، ولما ينس من الأمر أمسك بيدها وشدها وبدأ بالسير..

كانا في تلك اللحظة أشبه لنجمتين قررتا الموت فجأة، فرميتا ما تبقى من نورهما.. كانا يحترقان..

ولما مرا بجانب نبتة وكانها كانت قد أزهرت للتو لهما، قطفها وأزاح عنها شوكتها وأمدها لها كمن يقدم لله قربانا.. وتارجحا كما اعتادا كلما أتيا إلى هذه الحديقة، كان الصمت -الذي طال كثيرا- يزيد الأمر توترا، كأنهما كانا ينتظران إلقاء قبلة على قلبيهما تنهي الأمر وتنتهي الحياة معه..

استعاد ثبات جسده، وقفز من الأرجوحة تاركا إياها وراءه، وتوجه إلى حقيبته التي كانت لا تزال راقدة على المقعد الخشبي ذاك، فتحها والتقط منها دمية كان قد شراها سابقا.. أعاد ناظريه إلى نهاوند التي ظلت تتأرجح ملقبة بناظريها عليه، ومشى صوبها إلى أن وصل إلى مقربة منها، وحاول بيده تخفيف تأرجحها إلى أن استطاع

تلك، وأمد يده وأعطاهما الدمية تلك..

- محلها، شكرا كثير..

- هاي ليزا.. كان المفروض نتجوز ونجيب بنت نسميها

ليزا مثل هيك؟

وأخذ نفسا، واستطلع عينيها..

وضحكا... ماذا يده إلى يد هي لها، لامسا أطراف أصابعها  
متحسسا إياها كمن يحاول ملامسة البحر لأول مرة  
فيما كانت هي هادئة تماما تنظر إلى عينيها اللاتي كن  
يتفحصن يدها وقد بدأت بالرجفان.. وظلا لما يزيد عن  
دقيقتين يتلاعبان بأطراف أصابعهما، طفلان كانا وكان  
العالم موحشا..

وقد ضحكا، أدار وجهه إلى اليسار قليلا ثم أعاده إلى  
مرقده الأول، وحملق في عينيها راجيا إياهما أن تنطقان..

وطال الوقت قبل أن تتمم

- أه صح.. جبتك إشي..

ومنت يدها إلى جيب في البنطال وأخرجت قلادة على  
شكل مسنن من نوع m16 .. وكانت تلك عقدة القصة  
الجيدة..

\*\*\*  
معينا جسده إلى ظهر الكرسي، راسما على ملامحه  
علامة استفهام. وقد رفع حاجبه الأيسر وأنزل أيمنه متم  
بنل:

- من وين جابت السنسال؟  
- معاذ قلبي إنك أذكى من هيك..  
- شوي.. يعني هي كانت البننت التي تصاوبت بأول  
القصة؟

\*\*  
وقد امتلأ عقله بالحيرة والغموض، وظن لوهلة أنه  
حبيب شراك مؤامرة كونية حكمت للإيقاع به في حبها  
مرة أخرى، كيف يمكن أن تكون هي نفسها التي وقعت  
في اليوم البنيس ذاك، وقد اضطر يومها لمرافقتها للمشفى  
شادا على قدمها بقلادته تلك لإيقاف النزيف..

وقد خال لوهلة أنه قد فقد القلادة تلك، وقد خال لوهلة  
أطول أنه قد فقدها هي، إلا أن هذا الأمر جعله غير موقن  
مما سيحدث تباعا، وأردى في نفسه الحيرة التي جعلته  
غير قادر على الكلام حينما ردت إليه قلادته، ممسكا  
بها ناظرا إليها بعينيه وقد دق قلبه وقتها من جديد، نقة



الحياة من جديد، تلك الحادثة التي سننقش في ذاكرته  
لوقت طويل. جداً معنى القدر..

وظل، لما يزيد عن ست دقائق دون أدنى محاولة منه  
لتكلام، محاولاً استجد نفسه كي تقنعه أن هذا النص  
غير واقعي، لكن كل الدلائل وقها كانت تشير إلى واقعته  
وتشير إلى أنه سينكسر تبعاً على إثر هذه الحادثة..

- مش قانر أفهم!

نطق وقد أدرك وقها أن الأمر كما كان يبدو لا محالة.  
لقد كانت هي تذكر.. شعور أطراف الأصابع عندما شد  
بها مستجداً إياها أن لا تموت، سلسلته على أسفل قدمها،  
صورة أبيها الذي شك للحظة أنه قد رآه سابقاً.. كل  
الدلائل واضحة، ولا يمكنك الإنكار.. في هذه اللحظة،  
عليك الاعتراف والخضوع لما حدث.. الإنكار لن يجدي  
نفعاً..

- لو سمحت إحكي إنك مش انت هديك البنت..

وقد رفع رأسه إليها، كانت صامته في الوقت الذي احتاج  
فيه هو أن تنطق ولو بكلمة توضح الأمر برمته.. وقهقهه..  
كثيراً..

وبعد ان أيقن بأن الأمر لم يكن إلا كما كان يبدو.. أعاد يده  
إلى يدها، ملامسا أطراف أصابعها قبل أن تتكلم..

بهذا اليوم لما صحبت ولقيت السنسال محطوط على  
الطاولة جنبتي، عرفت إن كل الأصوات إلي كنت أسمعها  
وأنا مغمى علي ما كنتش خيال، يدك الي امتدت لتربط  
السنسال، أصابعك إلي لامسو أطراف أصابعي، ايدك الي  
ضلت ماسكة في لحد ما وصلت المستشفى..

- وكيف عرفت إن أنا هاد الشخص؟

- صديقتي لما إجت على المستشفى كنت انت هناك..  
وكانت تعرفك

نهض وقد أعاد ترتيب هندامه، وقد ابتعد متجها إلى المقعد  
الخشبي جالسا عليه وقد أغمض عينيه.. فتحتها بعد أن  
سمع خطواتها متجهة إليه..

- ياالله نروح؟

أخذ نفساً من جديد، وأغلق حقيبته وقد مدت إليه يدها..  
نهض دون مساعدة منها..

- ممكن أخليه معي ذكرى منك؟ وتوخذ إنت هاد..

سنسال جببتك إياه.. RBJ

- تبادل أسرى مش أكثر؟

- تبادل أسرى مش أكثر..

وكان تلك اليوم هو آخر يوم. قد رآها فيه.

استمر الحب اسبوعا،  
بينما استرينا في وداع بعضنا عدة أشهر ..

بعد ثلاثة أيام على الساعة التاسعة ليلاً اتصلت به وهي  
تبكي، وقد بالغت في بكائها..

- نهاوند إيش مالك؟

- ايمتا توقيع الرواية؟

- لسا بدها وقت..

- انشرها عن قريب معاذ لو سمحت..

صمت كبير حل في المكان قبل أن تنطق هي: \_

- بحبك..

- جد؟

وقطع الهاتف.

\*\*\*  
2016/6/1 صباحاً ..

كانت قد وصلت رسالة على هاتفه

«أربع وستون يوماً قبل صدور رواية لا تقرب النساء»

كاللحظة الأولى من فض البكارة، خوف، خجل، وحاجة  
ماسة لحضن دافئ وكلمات مطمئنة ولكن لم يكن منك  
إلا أن تشكك في مصداقية حبي، ومصداقية تلك الكلمة  
الواحدة والوحيدة التي استلزمت مني شجاعة فارس عودة  
بحجره الواحد والوحيد في مواجهة تلك الدبابة الواحدة..  
ثم تتركني أمضي بقية الليلة، ليلتي الأولى وأنا امرأة  
كاملة.. وحدي..

ملاحظة أولى: \_ الشعور المذكور فوق لا يعبر بالضرورة  
أنني قد جربته.

ملاحظة ثانية: \_ تصبح الامرأة كاملة عند اعترافها  
بالحب.

لم أكن أشك للحظة أن لحظة اعترافي لأحدهم بالحب  
سكون فاشلة إلى تلك الدرجة، والآن.. أنا لا أطلب منك  
شيئاً، لا أن تتغير ولا أن تغير شيئاً، فقط ركز على

توقيع روائتك، واجعلني فخورة..  
حاول الاتصال بها مرارا وتكرارا بعدها لكنها لم تجب...

..

من مذكرات معاذ جهاد 6/15

أعرفين ما المشكلة التي تحدث دائما؟ أننا نظن الأمر في كل مرة سيكون مختلفا عن سابقه.. هذا الحب مختلف، هذه الصداقة مختلفة، هذه الطريق لا تشبه الأخريات، هذا الشيء لن يؤلمني كما فعل سابقه، هذا الأمر لن يتكرر، هذه الحادثة لن تحدث، هذا الشخص لن أفقده، سيكون كل شيء بخير.. وفي كل مرة نكتشف أن الأمر يشبه سابقه أكثر مما يشبه نفسه، ونكتشف أن حياتنا ما هي إلا دائرة غلقة من البلاءة والتكرار..

نت اثنين وثلاثين صديقا وفي كل مرة كنت أبتسم لخلي وأقول أن هذه المرة آخر مرة وأن هذا الشخص ذا المكان وهذا الزمان لن يكون كسابقه، وأن علاقتنا صحيحة وصحية جدا..

ريب في الأمر.. أن الأمر ينتهي دائما في الوقت الذي نمتأكد فيه أن الأمر لن ينتهي، في قمة ثقتك ينتهي

الأمر ليكسر ك ويهزم ثقك وجبروتك..

تبدأ العلاقة وتنتهي تماما بالطريقة ذاتها التي ابتدأت فيها وانتهت سابقتها، ستختلف أماكن اللقاء، أوقاتها وطريقتها.. أمام إشارة مرور أو أمام محل حلويات، الساعة التاسعة صباحاً أو الخامسة مساءً، ليس بالفرق الكبير ففي كل الحالات ستلتقون ببعض من الارتباك، في المرة الأولى ستبتسمون ابتسامة صغيرة خجلة عن بعد، ستصافحون بكل أدب، ستجلسون متباعدين بتهديب، ستأكلون بانتظام وقليل من البرستيج تاركين قليلاً من الطعام متحججين بأنكم قد شبعتم، ستحدثون عن أمور عامة، ربما عن حادثة القتل الأخيرة، عن الاحتلال، عن المجتمع عاداته وتقاليده، سيصرُّ كل واحدٍ منكما على الدفع عن الآخر، وأثناء الوداع سيكون الوداع بكل لطف لملين الالتقاء في أقرب فرصة تحدث..

فيما بعد.. ستتغير الأمور كثيراً، ستبدأ بالتلاقي في كل مكان ممكن وفي كل وقت ممكن، ستسغنيان عن التصافح وتغييره باحتضان بعضكما، ستجلسون بالقرب من بعضكما، تتشاركان نفس الطعام والشراب بلا برستيج بتلاً بل وإنكما ستبدأن بالتفاخر والمنافسة على أيكما



سيستطيع أن يأكل بطريقة أقل حضارية وأكثر تخلفاً،  
لن تتركنا من الطعام شيئاً وسيهرب أحدكما من المكان  
مجبوراً الآخر على نفع الطعام كاملاً، أكثر حديثكما فائدة  
سيكون عن جيرانكم المزعجين وعن محاضري الجامعة  
وعن فاطمة التي تركت حبيبها قبل عدة أيام، وستتسبان  
وداع بعضكما أصلاً..

ثم في لحظة ما، يحدث ما يجب أن يحدث..

انت تعلم أن الوقت الذي سيحدث فيه البرود أت لا محالة..  
ستفلق الهاتف في وجهك، لن ترد على المكالمة التالية،  
لن تجيب على رسائلك وحينما تسألها عن الأمر ستقول  
أنها الإنشغالات ليس إلا..

عندما تحب لأول مرة فإنك تعطي الشخص قلبك كاملاً،  
عندما تخسره فإنك تخسر شيئاً من قلبك معه لكنك تعرف  
أنك ستعود بشيء منه.. ولكن عندما تحب أحدهم ببواقي  
قلب فإن الأمر أصعب كثيراً، ذلك يعني أنك تراهن على  
آخر ما تملك، وعلى كل ما تملك..

والمشكلة الأكبر.. أنك كنت تعين هذا الأمر جيداً..  
بحذافيره..

في نهاية الأمر، تكتشف السعادة أننا مجرد ملاذٍ خاطئٍ لها.. ونتركها، تهدينا الأشياء التي نودُّ لو أهديت لنا منذ زمن طويل، الأشياء التي نود سماعها، المشاعر التي نود الإحساس بها، الضحكات التي قد التصقت بشفاهنا، التلذذات السخيفة التي نود سماعها مرارا وتكرارا، كلمة «أحبك» التي قيلت لمرة واحدة وظلت أذاننا تسمعها مرارا، والأشخاص الذين أصبحوا دنيانا كاملة.. نعلقنا بالأشياء كثيرا، ثم ترميها بعيداً عنا ونحن الذين أصبحنا لا نستطيع المضي قدما دونها..

ثم ماذا؟ ثم يتركوننا، يتركوننا وقد عاثوا في القلب فساداً بعد أن ظننا أنهم زرعوه حياً، والصحراء أصبحت قاحلة عندما تركتها المياه منذ سنين عديدة..

أكل قلبك باباً ليدخلوا إليه ويخرجوا بكل تلك السرعة؟! وماذا عن أزهار قلبك؟ احتضنوها، كثيرا.. إلى الدرجة التي لم يصلها ضوء الشمس ولا أكسجين الحياة.. اختنقت، وماتت..

ليست المشكلة بتاتا أن تكون خارج النص من أوله، لكن المشكلة الكبرى أن تصبح ممثلاً ثانوياً في الوقت

الذي كنت تخال فيه نفسك بطل الرواية، أن يصبح دورك جانبياً وأن ينزعوا منك المعاطف ثم يتركوك ويوجهوا الكاميرات إلى شخص آخر وأنت الذي كنت تظن أن الفيلم سينتهي معك، انتهيت أنت وأكمل الفيلم..

المشكلة الكبرى أنه لم يكن يحسب للأمر حساباً كهذا، كان أكثر أملاً بأن يستمر الأمر حتى النهاية..

ساعي البريد من أتعس الناس حظاً، يحمل كل تلك الرسائل المعتقة بالحب والحنين وما كان عنوان إحداها يوماً عنوان بيته، بانعة الورود لم تهدى يوماً أي ورده.. والكُتاب، لو أنهم استطاعوا أن يكون أبطال رواياتهم ما تنازلوا ليكونوا كتاباً.

أما هو، فلم يتنازل عن شيء.. بل الدنيا- كل الدنيا- تنازلت عنه..

وقد أدرك بعد مدة ليست بالطويلة أنه خسر أجمل ما قد ملك يوماً، صديقه.. وكيف له أن يقوى على استعادته أو استعادة شيء منه؟ من ذا قد يزيج من عينيه عينيه وينسبهما عبء كاهله وثقل الجريمة؟! من ذا قد يعطيه نفس ابتسامه صديقه ويرسم على شفثيه بسمة؟ ومن ذا

بَطْرَحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كُلِّ صَبَاحٍ؟

مِنْ ذَا يُدَاعِبُهُ أَوْ يَلَاعِبُهُ؟

مِنْ ذَا قَدْ يَشَارِكُ الْحَيَاةَ وَبَعْضَ جَنُونِهَا وَأَنْكَسَارَاتِ الْحَزَنِ

عَلَى غَيْمَةِ صَيْفِيَّةٍ؟!

مِنْ ذَا قَدْ يَكُونُ ظِلُّهُ؟!

كَانَتْ ذَاكِرْتَهُ قَدْ تَشَبَعَتْ بِهِ إِلَى دَرَجَةٍ تَكْفِي لِجَعْلِهِ لَا  
يَنْسَى مِنْهَا، فَكَيْفَ لَهُ الْآنَ أَنْ يَغْطِيَ حَزَنَهُ أَوْ مِنْ ذَا  
يَنْزِعُ الْوَجَعَ وَالْأَسَى مِنْ صَدْرِهِ الْمَلْدُوعِ حَيْرَةً وَبُوسًا؟!

فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ مَا عَادَ لَهُ صَدِيقٌ قَطُّ، وَهُوَ الَّذِي كَلَّمَا تَعَلَّقَ  
بِأَحَدِهِمْ أَهْدَاهُ رُوحَهُ عَلَى طَبَقٍ مِنْ ذَهَبٍ وَقَالَ خُذْهَا، لَمْ  
يَنْرِكْ أَنَّهُ سَيَأْتِي ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي لَنْ يَرْنَ هَاتِفَهُ أَبَدًا، لَنْ  
يَعْتَفَهُ أَحَدُهُمْ، لَنْ يَتَمَشَى مَعَ أَحَدِهِمْ، لَنْ يَنَامَ عَلَى كَتْفِ  
صَنِيقِهِ،

لَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا..

وَأَنْ كُلَّ امْرَأَةٍ تَرَكْتَهُ، تَرَكْتَ لَهُ شَيْئًا مِنْهَا، قَلَادَةٌ رُبَّمَا،  
خَاتَمٌ، حَلْقُ أَذُنٍ .. إِلَى أَنْ كَادَ يَفْتَتِحُ مَتَجِرًا بِهَا، لَقَدْ  
اعْتَشَشَ عَلَى الْهَجْرَانِ..

وَأَنَّهُ لَمَّا ضَاقَ ذُرْعًا بِالْعَلَاقَاتِ الَّتِي تَنْضَبُ بِسُرْعَةِ الْفَى

بنفسه وحيدة، وكلما مرّت على سمانه سحابة خال لوهلة  
أنها ستطر علاقة اختبأ في كهفه وأغلق الباب وحمل  
مظلتين.. وحينما طلبت منه إحداهن يوماً احتساء بعض  
الشاي معها كاد أن يصل به الأمر أن يجعلها توقع على  
وثيقة تضمن العلاقة بينهما..

«رجاء.. سيكون شرب الشاي أمام العامة، ولمرة واحدة  
وحيدة ولمدة لا تزيد عن عشر دقائق، سنفعل الأمر  
بطريقة رسمية جداً، وسيدفع كل واحد منا ثمن كوب  
شايه، إن كانت ضحكك جميلة فلا تتبسمي أبداً، وعندما  
نتهي منه لن نتمشى قليلاً بحجة أن أقدامك تبيست من  
الجلوس، وبعد أن تصلي إلى البيت لا ترسلي رسالة  
تقولين فيها «لقد كان يوماً جميلاً معك» وأتمنى أصلاً  
أن لا يكون جميلاً..

في تلك الليلة، أرجوك لا ترسلي لي أغنية لأسمعها ويفضل  
أن يكون نوع موسيقاك يختلف عن نوع موسيقي، وإن  
كنت لا تحبين الموسيقى فذلك خير..

إن كنت من النسوة اللاني يفضضن عن مشاكلهن فأنا  
شر الناس في الاستماع إلى الهموم ولست طبيبياً نفسياً..  
إن كنت تبكين فلا تبكي أمامي، فنحن الرجال لا نضعف

أعلم شيء كما نضعف أمام دموع امرأة، لا تقولي لي في يوم. ما أن ابن عمك ينوي الزواج منك، إن كان مناسباً تزوجيه، وإن لم يكن فلا تفعلني.. وعلى الحاليتين لا يهمني الأمر بتاتا، ولا تجعليني أظن للحظة أنه مهم..

إن كانت عيناك جميلتين، أو روحك تطير مع الغيم من ففتها، أو حديثك يشبه شينا في، أو رائحتك مختلفة جدا، فأرجوك أبقى مسافة كافية بيننا في كل مرة نلتقي..

إن نلتقي أكثر من مرة في كل أسبوع إن لزم الأمر، نجلس متباعدين بمتري على الأقل، ومهما حدث - أكرر - مهما حدث، أبقى يدك بعيدة عني ولا تجعلها ترتطم بيدي - وبقلبي - بالخطأ.. وأرجوك، - أقول أرجوك - عندما نتودع لا ضرورة لنلتفت إلى الورا لنبتسم مرة مرة ومرة.. فليحدث الأمر ببساطة، «ألك قريبا» أقول أنا ثم تذهبين في طريق وأنا في طريق. دون أن نلتفت للورا بتاتا..

إن نذهب للتأرجح، ولا للتزحلق، لن نقطع الطريق معا، لن نمشي تحت المطر، لن نلتقط لنا صورة مع بعضنا، لن نتبادل الهدايا ولا الأسرار ولا الورد، لن نجلس على كرسيين متجاورين في الحافلة، لن نتشارك سماعة أنن

واحدة، لن نتقاسم وجبة غداء، لن نركض كطفلين في الشارع ولن تهديني كتاباً أحببته يوماً، وإن فعلت.. سأعزل القراءة، أعدك..

لا تنظري إليّ يوماً وتقولي «أنت من أجمل الأشياء التي حدثت في حياتي»، ولا تعديني أنك ستبقى معي للأبد، البشرية عاشت على الأرض منذ ستة آلاف سنة ولم يبقَ اثنان معنا إلى الأبد، فلماذا ستبقى نحن؟

وإن حدث كل ما اتفقنا أن لا يحدث.. وقتها لا تتركيني.. رجاء».

لم يكن يدرك أنه سيأتي ذلك اليوم الذي سيستلقي فيه على السرير ولا يفعل شيئاً سوى انتظار شيء ما أن يحصل..

\*\*\*

- تمام، فهمت لحد هسا، بس انت.. شو دخلك بكل هاي القصة؟!]

## الفصل الرابع

ما قبل خلق حواء من ضلع آدم..

ماذا فعل آدم في كل ذلك الوقت الذي أمضاه

- رغم قصره- قبل أن تأتي حواء؟



في 1996 / 8 / 22 ولدت دون أن أكون نفساً يوماً قط..

كنت ولادتي أشبه بوزر. وُضع من كاهلي أمي أو من رحمها.. كنت محض خطأ ارتكبته الطبيبة المختصة بتحديد النسل، حينما زارتها أمي التي قررت -أو أبي من قرر ذلك- التوقف عن الإنجاب بعدما ضاق أبي ذرعاً بمصاريف أخوتي الستة، وأصبحت أغنامه وما تنتجه الأرض لا يكفون لإشباعهم أو لكسوتهم..

محض خطأ فعلته هي، كان قد سمح لأحد الحيوانات المنوية لأبي - في لحظة شهوة - باختراق بويضة كانت لأمي لأني أنا، الطفل البائس إلى هذه الدنيا، لأعيش لأكثر من ثلاث وعشرين سنة حياة شقاء..

وبدأ بطن أمي ينتفخ، رويداً رويداً.. وكانت تشعر بي، وكان أبي قد شك بالأمر حينما قال في أحد الليالي بعد أن جلست أمي على الأرض وهي تخلع لأبي حذاءه « صابرة توكلي كثير »..وردت بسخرية وقتها:

- أه.. من كثر ما التلجة ملانة أكل..

وكانت تلك الجملة سبباً كافياً برأي أبي ليضربها، لأكثر من عشر دقائق ظل، يبطشها وكأنه يستمتع في الأمر..

أو كانه وجد الحجة المناسبة ليُطيل في بطشه هذه المرة..  
وقد وقعت حينئذ على الأرض، وكان ذلك قد خلف نيبة  
في، كانت الأولى في جسدي حتى قبل أن اولد، وظلت  
مرافقة إياي لهذا اليوم. شرحت أمي لي ذلك تباعاً بعد أن  
أزاحت غطاء صمتها في لحظة يأسٍ حلت بها..

وبن الأمر، وأصبحت أمي غير قادرة على إخفاء وجودي  
بإرتدائها المزيد والمزيد من الملابس التي استطاعت في  
بداي الأمر إخفائي..

وكان ذلك اليوم من أكثر الأيام قسوةً على والدي.. فابنة  
موسع. ما كانت قد ركضت قبل أربعة أيام لتشتري  
بعضاً من الحلوى التي تحبها، وأوقعت هاتفها أرضاً  
وظلت لأكثر من ثلاث دقائق تبكي عليه، قبل أن يصطحبها  
والدها لشراء هاتفٍ جديد وفعل.. وحينما أرادت شكره  
أثناء قيادته قبلته على خده الأيمن، وقد حُجبت عليه انروية  
فاصطم بسيارة بجانبه وضحك وهو يفر مسرعاً..

صاحب السيارة الذي كان مديراً في أحد شركات تصنيع  
المحاصيل، لما رأى سيارته قد خدشت تأبط شراً، لكن لم  
يكن باليد حيلة، وظل منزعجاً طيلة النهار إلى أن أفرغ  
غضبه في مسؤولٍ تحت إمرته، وكذا فعل حينما وبَّخ

عاملاً ما متحججاً بأن المزروعات التي تأتيه من القرى  
قد قلت جودتها، فقرر وبعد أن فكر.. بشراء المحاصيل  
من مكان آخر أخذاً برأي المسؤول عنه.. وقد تلقى  
المزارعون الخبر، ومن بينهم أبي بغضب شديد.. الشيء  
الذي سيجعل أمي تصرخ ألماً لأكثر من نصف ساعة  
لاحقاً..

وعاد أبي، الذي لم يجد من يشتري محصوله لهذا العام  
إلى البيت، وقد رأى بطن أمي منتفخاً بي، وهل هناك  
ما قد يهدئ الروح كمثل تسديد بعض الضربات إلى كرة  
منفوخة؟!

ووضعت أمي العشاء لأبي، وظل يحدق في بطنها كثيراً  
وهو يحرك فاهه بالطعام، في الوقت الذي كان فيه إخوتي  
يبتظرون أباهم أن يفرغ من عشاءه ليأتيهم الدور بما  
تبقي.. وطال عشاء أبي وطالت نظراته..

وفرغ أخيراً، ودخل غرفته ونادى على أمي، وجاءت  
وركعت أرضاً لتخلع حذاءه كالعادة..

- ابنك بتروحي بتسقطيه..

ومع التأخر الذي كان بالفلاحين بأمور الطب، وادعائهم

بمقتنين، إلا أن الإجهاض أو «الإسقاط» - بما يعرفونه -  
قد وصل إليهم مبكراً..

وقد حنت أُمي على جنينها -أنا - وبعد أن تحسسته وخافت  
عليه من بطش فرعون، وجدت أن تابوت رحمها أرحم  
عليه من إسقاطه، وكانت خاطنة ولم تكن تعرف أن  
التابوت في نهاية الأمر سيجرّني إلى قصر فرعون أو  
إلى بيت أبي المتواضع لأكون أكثر صدقاً.

ولما رفعت عينيها في وجه أبي، واستطاعت لأول مرة  
أن تعارضه فقالت « حرام»، وضحك أبي « يحرم جلدك  
عن عظمك إن شاء الله، هاظ حرام بس إن نموت من  
الجوع من كثرة ولادتك مش حرام؟ الله رح يسامحنا..  
خذي مني مش حرام» وكان أبي - مفتي ديارنا الإسلامية  
في تلك اللحظة - قد بدأ برفع صوته تهديداً لما سيحدث،  
وقد فهمت أُمي الأمر فسكنت، لكن ذلك لم يحميها من  
بطشه حينما ظنّ أنها تتجاهله بهذه الخطوة، وظلت  
راضعةً يديها على بطنها - علي - طيلة نصف ساعة،  
وهي تضرب خوفاً من أي يحصل مكروه لي..

وبعد شهرين وبعد أن ضاق أبي ذرعاً، ضربت أُمي  
كثيراً في ليلة ما، لكنني كنت وقتها قد تشبّثت بالحياة

وبأن أتى، فالتجبتُ قبل مواعي بشهرين من وجع رحم  
أمي، ومن رحم الوجع ولدت.. وجنت أنا.. الابن السابع..  
حينما ولدت، لم أكن أعي شيئاً، لكن الوجع والألم لا  
يحتاجان إلى الوعي البتة، نحن ندركهما دون وعي..  
وتأخرت في النطق إلى سن السادسة، لكنني أتقنت التقبيل  
وأدمنت حضن أمي..

وكنت أرى الأشياء غامضة مبهمة دون تفسير، وكنت  
أحاول تفسيرها وكأنت أمي تحاول إخفاء الأمور،  
فالوضوح موجوع أحياناً، وخاطت لي دمية حينما زارتنا  
جاريةً لنا مع ابنها وقد أحضر سيارة صغيرةً معه كان  
يلعب بها ومنعني ذلك.. ووعيت لأول مرة. وأنا ابن  
الخامسة بأن هذه الدنيا ليست عادلةً بما يكفي، وأنها  
ظالمة للذين لم تكن أمهاتهم أمي..

ورأيته تضرب، مرارا وتكرارا.. وما تجرات يوماً أن  
أحمل عنها وزراً، وهي التي حملتني سبعة أشهر كاملة  
وكنت وزراً.. لكنني وبعد أن كنت أختبئ خلف الباب  
حينما يعلو صوت أبي، وأسمع صرخات أمي، أنتظر  
الهدوء.. الهدوء التام ثم وقع صوت خروج أبي، وأقترب  
من أمي وأحضنها محاولاً جعلها تغفو وكنت أنا من يغفو

في نهاية الأمر..

رظلت تمنعه أن يأخذني إلى الأرض حتى جاء ذلك  
يوم، كنت قد أكملت السادسة منذ وهلة، وقد بدأت أخيراً  
بتركيب الأحرف ناطقاً بعض الكلمات، وقد حاولت أمي  
تطبيي نطق الكلمات..

رصاص أبي بامي صباحها « لليس بروح على المدرسة  
إنا مش عارف يحكي هالهيل؟ »

وقها كان قد توجب علي أن أنطق بأية كلمة تبعد عني  
بطشه وتقيني إياه، وقد فكرت كثيراً، واسترجعت الذاكرة  
بربعاً وأنا أراه يخطو إلي، وكان لا بد أن أستجمع كل  
قواي وأن أنطق بكلمة واحدة فقط.. مجرد كلمة..

واقرب مني كثيراً، وكان الوقت ينفذ بسرعة، وقد  
سعت في ذهني كلمة واحدة، ومن أحب إلى أبي من  
حمله؟

ردأعدت الكلمة مرتين في عقلي قبل أن يباغتني « إيش  
اسمي أنا؟ »..

نظقت دون أن أفكر حتى « حمار ».. ثم أدركت أن  
الكلمة - بعد كل تلك المجهود - ما كانت في موضعها،

أدركت ذلك بعد أن وضعت أمي أربع كمادات علي ظهري..

وحاول أبي إخراحي من المدرسة في بادئ الأمر، لكن معلمة كانت تردد باستمرار لأمي بأن علامات الذكاء واضحة علي، وأن التأخر في النطق ليست نهاية العلم جعلت أمي تصرّ علي إرسالني إلى المدرسة مهما كلفها الأمر..

لكنني وبعد ثمان سنين، وحين عدت إلى البيت ووجدته فارغاً إلا من عماده - أمي - بحث لها - وكان وضعنا يزداد سوءاً وقتها - بأن علي ترك الدراسة الآن قبل أن أصل إلى حائط مغلق. وكانت نتانجي وقتها مرضية جداً ولكن.. ماذا لو أنهيت الثانوية العامة؟ كيف سأكمل تعليمي الجامعي؟ المال الذي كنا نملكه لم يستطع تغطية ديون أبي التي بدأت بالتراكم..

وبحث لها بأن أحدهم سيجعلني أعمل عنده في تصليح السيارات.. ووعدها وقتها، دون أن أعلم كيف، بأنني سأدخل الجامعة في يوم ما وأكمل تعليمي.. وهذا ما حصل.. واستمرت حياتي منذ ذلك اليوم على وتيرة واحدة.. أصحو على السادسة متوجهاً إلى العمل،

وأعود منه على السادسة.. ثم إلى حضن أمي..

ثم أكن أملك من الوقت ما يجعلني أفكر بالمستقبل أو ما سيحدث به تباعاً، أو لأكون صريحاً.. كنا من الذين يكونون لا يعيشون الحاضر من قسوته، فكيف سنفكر بالمستقبل؟

وكنت كلما أن جاءتني فكرة من ها هناك، اتكأت على واقعي ورميت كل الثقل على الظروف.. ماذا كنت سأفعل لو لم توجد تلك الظروف؟ على ماذا كنت اتكأت؟

كثيرون هم من يتحججون دوماً بظروفهم، يبحثون عن أي سبب يجعل منهم مظلومي واقعهم.. وأنا كنت من أولئك..

«سأغير الدنيا لوأخذت فرصة أخرى غير تلك، سأغير الكثير لو جاءت تلك الفرصة بعيداً عن هذا الواقع» كنت أقول في نفسي.. وكنت كلما فتشت بداخلي بحثاً عن نفسي، فقدتها..

واستمررت على هذا المنوال إلى أن جاء ذلك اليوم ..



كان عملي وقتها قد تغير مكانه، فأضحيت أعمل في إحدى محلات تصليح السيارات في رام الله، وكنت قد أمضيت العامين تقريباً هناك، يوماً كان قد طلب مني أن أصلح سيارة بها عطلٌ في المحرك، وبعد أن أتممت الأمر، كان يتوجب علي أن أقوم بالجولة المعتادة بالسيارة للتأكد أن كل الأمور تجري على ما يرام.. وقمت بالأمر وخرجت بها من هناك.. وعند أحد إشارات المرور أمام المقاطعة، كنت قد توقفت حينما احمرت الإشارة، وكان جرار بالسيارة قد فتح فحاولت إغلاقه ريثما تخضر الإشارة، وانشغلت به دون أن أدرك أن الإشارة اخضرت، وقد نبهني صوت مزمار سيارة خلفي، فرفعت رأسي وأمسكت بالمقود، وسقت بها على عجل حينما مرّ مسرعاً من أمامي وصدمته، ولولا رحمة ربه به لكان من المهلكين، إلا أن الصدمة لم تكن قوية ووقع أرضاً..

أوقفت السيارة، وخرجت منها وأسرعت إليه، وكان يقهقه كثيراً « مش هون، مش عهاد الرمزون » ، تملكنتني الحيرة ووقفت مدهوشاً ولم أعرف ماذا أفعل، تفحصته بعيني وسألته « انت بخير؟ » ظل يقهقه قبل أن يمد يده إلي، « لا، مش لازم تقوم، بلاش يكون فيك إشى، شوي

نصل على الإسعاف» زادت فهقهته، وأوما إلي أن  
ساعده بالنهوض وساعدته، وكان الناس قد بدؤوا بالتجمع  
فإن أن يصرخ « بسيطة بسيطة، فش إشي» ثم نظر إلي  
وبدأت فهقهته بالاضمحلال قبل أن أقول له «والله ما  
كش قصدي، أنا أسف ما كنتش منتبه» .. زاد تحديق  
وم يديه إلي وجهي وقد تحسس أعلى جبيني، وكنت  
تأملنت بالسواد الناتج عن عوادم السيارات وزيوها ثم  
نطق:

- توصلني لو سمحت؟

- أه طبعا..

وساعدته بالمشي إلى أن أركبته السيارة، وعدت إلى  
منعدي في سرعة وسط الجموع التي بدأت بالصراخ  
طائبة مني التحرك بالسيارة..

رطل لما يزيد عن خمس دقائق يتفحصني، وأنا أحاول  
تركيز في السياقة مهما نظراته التي بدت غريبة ومربكة  
فإن أن يسأل:

- إيش بتشتغل؟

- الزيت إلي على أواعي المفروض حكاكك إيش بتشتغل  
(وضحكت) .. انت إيش بتشتغل؟

- مش شايفني قبل هيك؟

وقد أعدت ناظري إليه وبدا هندامه يدل على شخص.  
أنيق متعلم، لكنني لم أكن قد رأيته سابقاً، وبعد أن أعدت  
ناظري إليه هزرت رأسي نافيةً..

- تأخذنيش، بجوز شايفك بس مش منتبه..

- ما سمعتش برواية لا تقرب النساء؟

- لا والله ما إليش عالثقافة يا أخ.. انت اسألني عن  
طرمبة البنزين، عن الكوشوك، عن الجير.. بتسألني  
في عن رواية؟!!

كنا قد وصلنا وقتها إلى وسط رام الله دون أن أعرف إلى  
أي مكان كان ينوي الذهاب، وقد أشار إلي

- تنزلني لو سمحت؟

- متأكد فش إشي بوجعك؟ أنا بقول أروح أوصلك  
للمستشفى نطمئن أحسن..

- لا ما في إشي ..

وقفت بالسيارة جانباً، صافحني ثم فتح الباب وخرج  
مبتعداً، أخذت نفساً قبل أن أدير مقود السيارة إلى اليسار  
منتظراً السيارة القلعة من الورا ان تمر، وقبل أن

أنعرك كان أحدهم قد طرق على الشباك، كان هو  
مشيراً إلي بفتح الشباك، فتحتة..

. يمكن أشوفك مرة ثانية؟ بعدين؟

. أه طبعا.. بس خوفتني.. في اشي؟

. لا لا.. بكرة؟

. بعد الستة عشان شغلي؟

. عالسبعة كدام نفس الرمزون؟

كان وقتها، الشخص الأكثر غرابة الذي قد صادفته في حياتي، ليلتها.. لم أستطع النوم على الثامنة مساءً كما اعتدت، وظللت أفكر بما حدث، نظراته إلي كانت غريبة إلى درجة مربكة.. كأنه ما كان يتفحصني إنما كان يتفحص في شيناً ما..

في اليوم التالي وإذ نهضت، بحثت عن أكثر هندامي ترتيياً لأرتديها عند مقابته، كانت تلك.. المرة الأولى منذ سنين عديدة أهتم فيها بمظهري، أنا لي أن أقابله باناقته تلك وأنا بواقى عوامم السيارات تلك؟!!

لنكن واقعيين، إن أكثر ملابس ترتيياً ما كانت تضاهي ملبسه الأنيق حينما صدمته، رغم أنه لم يرتده لأجل أمرٍ مهم كما كان يبدو..

وقابلته، عند إشارة المرور نفسها كان جالساً.. وبعد أن سلمت عليه وتحديثنا قليلاً سألته:

- ممكن أفهم اشي؟
- اتفضل..
- نظراتك مبارح، ونظرات قبل شوي.. ايش في؟
- لسناك مش مكتشف الموضوع؟
- انا؟

وقد أخرج هاتفه وعبث به قليلا ثم أعطاني إيا .. وهناك  
بنات الدهشة تتسلل إلى ملامحي..

- مين هاد؟ بشبهني بس مش أنا.. بشبهني كثير..  
- لهيك سالتك ما عمركش فكرت تربي لحيه وترفع  
شعرك..

- وايش دخل هاد برضو؟!

- لإنك رح تصير بتشبهني..الي بالصورة أنا.. بس  
بنون لحيه.. لهيك استغربت لما شفتك، قديشك بتشبهني.

وقها لم استطع الرد عليه أكثر، ليست بالمشكلة الكبيرة  
أن يخلق أربعين من الشبه ذاته، لكنها ستكون مشكلة ان  
صلاقت مع واحد منهم..

وكنت تلك بادئة الدهشات لي فيما سيحدث تباعا، فبعد  
ثلاثين طرح علي أغرب عرض رأيتة في حياتي..

بئها، لم استطع التفكير فيما قيل لي بشكل جدي، كان  
شيء أقرب إلى المزاح، الخيال، أو الجنون..

كيف لي أن أرضى بأن يأخذ مكاني أحد سواي، وحتى لو  
كان مكاني أسفل محركات السيارات؟

وكيف أرضى بأن أخذ مكانه وحتى لو كان يعيش في

الجنة نفسها؟  
كيف لي أن أكون أنا غيري، ويصبح سواي أنا، وأن  
أعيش في بقعة هي ليست لي، وأنا أدرك تماما أنها ليست  
لي؟!!

وأنا لي أن أنقص دور كاتب. وأنا الذي ما قرأت كتابا  
منذ ما يزيد عن ثمان سنين، وكيف لي أن أدخل جامعته  
وأنا الذي ما أكملت الصف الثامن حتى؟!  
وكيف لي أن أتلق بكامل ملابسه وأنا الذي اعتادت  
ملابسي زيوت السيارات وعودمها؟  
وكيف لي أن أعيش رفاهيته وأنا الذي اعتاد ظهري قسوة  
الإنبطاح تحت السيارات؟

وهو.. ما الذي يجبره على ترك كل ما يملك وأن يصبح  
أنا؟

أقد ملّ الحياة كما يقول؟

أحتاج الهدوء؟

أسيحصل عليه في بيت. يملؤه صراخ أبي؟

أسيعجبه صوت محركات السيارات وهو ملقا بأسفلها؟

فيما من الشبه ما يكفي لأصبح أنا هو، لكن فينا من  
الاختلاف ما يكفي ليكشفنا أحدهم، أنا أطول منه قليلا،

انضغ، بشرتي داكنة أكثر من بشرته، لي زائدة أعلى  
جني اليمنى، شعري أكثر كثافة منه.. لكننا نشبه بعضنا  
بعضاً، غير أن شارباً ولحية وإطالة شعري كثيراً لن  
يجعل مني إياه..  
لنا فكرت كثيراً يومها.. بأمي، تلك التي لم تملك سواي،  
ولن تملك.. فرفضت..

وكنت - بعد تفكير قليل - تلك فرصة لا تعوض، وأنا  
الشاب الذي قد بلغ من العمر عشرين سنة ولم يعيش في  
حيته يوم رفاهية، لم يرتدي بزة رسمية يوماً، لم يشاهد  
فيلمًا في السينما قط، لم يجلس في مطعم طالباً نصف  
نجاجة على الغداء، لم يلعب كرة القدم مع الأصدقاء،  
لم يتسكع في مقاهي رام الله، لم يحضر حفلاً صاخباً،  
لم يكلم فتاة يوماً إلا عن تلف في سيارتها وقد احمرت  
وجنتاه خجلاً، لم يسافر قط، لم يخرج في عطلة صيفية،  
لم يفعل شيئاً مما كان يود أن يفعله قبل سن العشرين..

وقد بدأت نفسي توسوس لي نفسي، وتحيي فيها أحلاماً  
لئيمة، وتنبئ غيرها، و تعطي ولو بريقاً صغيراً  
حياة أخرى غير تلك التي اعتدتها منذ عشرين عاماً  
مضت..



وفكرت، وأنا الطفل الإضافي في بيتنا الذي جاء بالخطأ،  
وما كان له مكان قط، ماذا لو لم يكن هذا مكاني فعلاً،  
وقد أهداني الله فرصة أخرى لأعيش حياة أخرى..

وكان ذلك اليوم هو القشة التي قسمت ظهري، وقد كانت  
حياتي حياة بعير. فيما سبق، لم تكن الحياة من قبل تعاملني  
كإنسان. قط لقد عاملتني معاملة حيوان. روضته على  
السمع والطاعة دون حتى أن تسمح له بالنهيق..

يومها، وقد ارتفع صوت صراخ والدي صباحها أكثر من  
المعتاد، وزاد ضجيج محركات السيارات، حتى صاحب  
المحل بدأ ينتقد أنفه الأمور بالنسبة لي، وزبون غير  
راضٍ تنمر أكثر من اللازم، رائحة الزيوت أصبحت  
شعة، ولما ذهبت للحمام ورأيت نفسي على المرأة، كانت  
الزيوت تغطي وجهي أكثر، ورأيت نفسي أغرق بزيت.  
يقطر من أعلى رويدا رويدا على سنوات لا تنضب أبداً،  
وتستمر بالمشي، ورأيت نفسي أشيب وأنا تحت سيارة.  
وربما، كانت الأمور يومها عادية جداً غير أن نظرتي  
قد تغيرت..

ولما فرغت من عملي يومها.. كالمته، وكان قد أعطاني  
رقمه سابقاً، وطلبت أن أقابله، ولما رأيته قلت له أنني  
موافق مهملاً وجه أمي الذي كان يطاردني في الأنحاء..

يومها اتفقنا أن يصبح الجنون واقعاً، وأن أصبح أنا هو  
بكامل تفاصيله.. وأن أعيش حياته كاملة، وأن أبدأ من  
هذه اللحظة بتكوين نفسي لأمسي في نهاية المطاف  
إنساناً آخر، يشبه كل شيء، إلا ذاته.



لو خلقت أنت في مكان آخر، هل سيتغير الكثير؟ ولو  
خلق غيرك في مكانك، ماذا كان ليفعل؟!

2016/6/26

بدانا بالالتقاء مرارا وتكرارا في محاولة لجعلي أشبهه.  
فلم نحتاج كثيرا من الوقت ليبدو هو أنا.. ماذا في ليثفى  
كى يصبح أنا؟! الزيت الذي يكسو ملابسى؟ شخصى  
الهادى؟ صمتى؟

أما هو فكنت أحتاج الكثير لأبدو مثله..

فى بادئ الأمر اعطانى روايته لأقرأها، وإلا كيف ساصبح  
كاتبا لرواية لم أقرأها أبدا؟

احتجت ستة أيام. لأنها - بعد أن طلبت إجازة لمدة  
أسبوعين ووافق عليها صاحب المحل بعد إلحاح شديد.  
وحتى عندما أنهيتها لم أفهم منها الكثير..

أسبوعان كانا كفيلا بتغيير حياتى وقلبها رأسا على  
عقب، ورغم عدم فهمى للرواية إلا أننى قد فهمت الكثير  
عن الحياة وجربت أشياء كثيرة لم أجربها من قبل..

فى اليوم الأول طلب منى عدم حلق شعري ولذقنى بتلقا،  
ثم بدأ يعلمنى كيفية التعامل مع الناس، قال لى أن النجاح  
مربوط بتعامه، قال لى بنصيحة واحدة، لتصبح شخصا

محبوباً عليك أن تكذب كثيراً، وأن لا تجعلهم يكتشفون  
كذبتك.

في اليوم الثاني وبعد أن كنت قد أقنعت والدتي بأنني  
مضطر للغياب عن البيت مدة أسبوعين لظرف عمل  
أخر.. اصطحبني لمشاهدة فيلم كان الأول الذي شاهدته  
في حياتي، وخرجت من قاعة السينما كمن دبت الحياة  
فيه، وأنا أروي له التفاصيل التي أحببتها، وكان يتسم  
كلما قلت له عن تفصيلاً ما.. وبعدها بدأت بمرافقته في  
كل الأوقات، وحتى النوم في الشقة التي كانت لصديق  
له، وكان يبات فيها ..

في اليوم الثالث بدأت صباحي بسؤاله «عيلتك؟ ليش ما  
بتام عندهم؟» فأجابني بأنه اختلق مشكلة ما وخرج من  
المنزل، ليكمل هذا الأمر وأعود أنا مكانه، في ذلك اليوم  
أدركت أن الأمر أصبح جدياً، وأدركت أنه يتوجب علي  
التعلم بسرعة..

يومها بدأت لاحظ كافة تفاصيله، طريقة لبسه، تمشيطة  
الشعر، كيفية كلامه في الهاتف، طريقة جلوسه، نظراته..  
وحتى طريقة إمساكه بالهاتف، بدأت تقليد كل شيء إلى  
الدرجة التي جعلتني لا أربط حدائي إذ كان لا يستطيع

ربط خذانه هو..

في اليوم الرابع سألته «ليه بدك هيك؟ ليه بدك تبطل مشهور بعد ما تعبت لوصلت هون؟» وقتها لم يجب لكنني أدركت أن أشياء كثيرة حدثت في حياته، جعلته ما عليه الآن..

في الأيام التالية بدأت أشبهه شيئا فشيئا..

بعد أسبوعين، كنت وبكل ضعف في مثله تماما.. وقد طال شعري بما يكفي، وطال ذقني وقام هو بتصفيفهما، وقص القليل من ذقني، وارتديت ملابساً هي له وكنت أشبهه كثيراً إلى الحد الذي ما ميزت فيه نفسي عنه..

ليلتها.. جلسنا لمدة طويلة، وباح لي بكل شيء.. بكل هذه القصة عن حياته.. وبنهاوند تلك التي ضم قلبها فكسرتة..

وأعطاني أغراضه الشخصية تمهيدا لكل ما سيحدث تباعا، هاتفه الشخصي، أوراقه، روايته تلك، وسنساله الذي كان يرقد على صدره منذ مدة ليست بالقليلة بتاتا.. وانفقنا أن تكون هذه الليلة هي ما قبل الأخيرة، وأن نفرق أنا وهو قبل أن يأخذ كل واحد منا حياة الآخر..

2016/7/10

كان ذلك اليوم آخر يوم. يفترض أن أراه، وكان ما حدث يومها، جعلني أجزم تماما، أنه مهما حاول أو مهما حاولت، فإنني لن أراه مجدداً.

كنت الساعة قد تجاوزت السادسة والنصف بقليل، وفي المكان نفسه، إلى جانب إشارة المرور نفسها، أمام المقاطعة كان يجب أن لنتقي.

كنت يومها في أشد أناقتي، وأنا الذي تدرجت جيداً لأرتديهِ كاملاً، وكان يشبه ما كنت أبدوهُ في السابق كثيراً، وقد نسر شعره وحلق شارباه وذقنه، مرتدياً ما كنت أرتدي في السابق وقد زاد تلميح ملبسه بزيت السيارات بطريقة تجعل الأمر ظاهراً لمن يدقق ولو قليلاً، وقد أمسكت يده اليمنى بكيس. قد ملئ بحبات الطماطم التي كنت أعود بها إلى البيت كل مدة، كان الفرق الوحيد هو الزائدة التي علت عيني اليمنى، وكنت أدرك أن أمي، تلك التي تعرف تفاصيلي كاملاً قادرة على كشف الأمر بنظرة واحدة، وظل، لما يزيد عن عشر دقائق. يقنعني أنه قادر على تمص الشخصية كاملة وأن أمي - التي ستصبح أمه



بعض لحظات- لن تكتشف شيئاً ..

وبعد وقت، أذعنت للأمر، وأيقنت أنه قد توجب علي الآن  
إكمال الأمر إلى نهايته..

ظل يردد مطولاً «أيش ما صار، ما تقرب من نهاوندي..  
ما حنش بعرف سرها غيري.. تقربش شو ما صار».

وكان يجب أن نتودع، وأدركت للمرة الأولى في حياتي  
أنني الآن أودع صديقي الأول، وما كان لي من قبل  
صديقاً سواه..

غير أن ما حدث بعدها جعلني أدرك أن ذلك كان الوداع  
الأخير..

فبعد أن تودعنا، وقطع الطريق دون أن يلتفت إلى إشارة  
المرور، صرخت فيه بالتريث، ولما سمعني أدار وجهه  
إلي مبتسماً.. ثم سحقت حبات الطماطم أرضاً وسحق  
وجه..

سيارة جيب زرقاء  
أوصلت أحدهم إلى الحياة الأخرى..

وكنت أرى أمامي ماضياً آخر قد انسحق أمام عيني، وما استطعت أن أقرب منه، لقد خذلتني نفسي وقتها، وكل القوة التي كنت أظاها بها تلاشت أمام جثته، ووقفت بعيداً، غير مدرك لما حدث وما يحدث وما سيحدث..  
ولما مت، كنت أرى كل شيء من بعيد..

العامّة الذين تجمعوا حول الحادث، صاحب السيارة الذي قد جن جنونه خوفاً، لا على الجثة الملقاة أرضاً، وإنما على ما سيحدث به تبعاً..

وتابعت مسير الجثة تلك، من نقلها إلى المشفى الحكومي الذي ما ألقى لها بالاً، وكان يبدو - من ملابسها - أن لا أحد سيكثر كثيراً لما لقت..

كانت الجنازة التي اتسعت لأربعة عشر رجلاً من الأحياء جميعهم.. سواء، انطلقت من المسجد لتزفه ماواه الأخير، ولتزيحه عن الدنيا أو لتزيح عبأ الدنيا عن كاهليه، ولتجعل من هذه الحياة أما قد فقدت للتو أشجع ابنانها وأكثرهم حيرة وأطولهم حلماً.

وزأبتهم يقومون بدفني بعد أن حل أمر موتي بفنجان قهوة ودية. ستدفع لوالدي تبعاً، وستحدث من التغيير

في حياته ما لم أستطع أنا تغييره في حياتي، كان موتي  
بداية حياة أخرى لوالدي الذي ما رأيت على عينيه دموع  
وأنا ملقاً أمامه.. ولما انقضت ثلاثة أيام من موتي، كان  
قد بدأ يبحث عن محل يستأجره ليفتح متجراً صغيراً  
بني..

أما أمي فكيف كان لها أن لا تبكي؟ وكيف كان بإمكانها  
أن تكون أكثر قوة؟

وأقل عاطفة وأعظم أمومة؟

وكيف لمارقها أن تكون هادئة جداً؟

رعيدة الجدوى كما سياسين وطنه؟

وكما أرملة شهيد آخر؟!

أيهم قد تبكي عليه أكثر؟

وأيهم قد يجعل قلبها يتشردق وعينيها ينكمشان على  
نفسيهما؟

لقد كانت هادئة تماماً، كما وطن ارتحل عنه أهله، وكما

مخيم عاد أهله إلى حيفا للتو، وكما آخر رصاصة دخلت

بقلب إحداهن، لم تبكي..

أما أخوتي، الذين اعتبروني زاندا لمدة اثنين وعشرين

سنة فقد بكو في بادئ الأمر، إلا أنهم في اليوم الثاني قد

ضاقوا ذرعاً من الوقت الذي قد أمضوه بلا فائدة في تلقي  
التعازي بوفاتي..

التعازي القليلة..

أما صاحب محل السيارات الذي كنت أعمل به، فكانت  
واقعة موتي الأكثر تأثيراً عليه بين العامة، فقد احتاج إلى  
أسبوع ونصف للعثور على فتى آخر يشغل مكاني، وكان  
يحتاج إلى شهرين على الأقل لتدريبه..

بعد أربعة أيام من موتي، لم يكن أحدهم يكاد يتذكر أن  
الامر قد حدث إلا أُمي، التي ظلت لفترة طويلة  
جداً، تغسل ملابسها كاملة، وكانت أراها تعيد تعليقها على  
الحبل خارج البيت مراراً وتكراراً، وكانت على الساعة  
السادسة مساءً في كل ليلة، تفتح باب البيت وتجلس  
خارجه، كما اعتادت لأكثر من ثماني سنين كانت تنتظر  
عزوتي إلى البيت.. لكنني هذه المرة أطلت الغياب..

- مات؟

- أه..

- معاذ جهاد مات؟!!

- أه

- انت مدرك إنك بتحكى هاد الحكى لصديق معاذ جهاد؟  
- ما كنتش صديقك لحالك.. كان صديقي أنا كمان..

ولما رأيت الأمر قد أثقل عليه، وكنت أظنه يحتاج إلى بعض من الراحة، أوقفت الحديث وبدأت أجعل عيني تجولان في الأرجاء بعيداً عن عينيهِ، وأنا الذي جئت إليه بخبر وفاة صديق له، وأنا الذي حللت مكانه..

لم يكن من السهل أن أقول ذلك، لكنه كان يتوجب علي أن أقوله، وكنت أدرك تماماً أن هذه اللحظة ستأتي لا محالة، ورأيت عينيهِ تحاولان التماسك وما استطاعتا..

معاذ جهاد.. الذي ظل لفترة طويلة جداً يخسر الأصدقاء واحداً تلو الآخر، ويقلب عينيهِ يمناً ويسرة، وينور محاولاً الوصول إلى الحقيقة، أو إلى حلم راوده، ويشقى محاولاً ترسيخ اسمه في الأرجاء، حتى إذا ما مات كان اسماً لا رقماً، لم يكن يخال للحظة أن أربعة عشر رجلاً

فقط هم من سيحضرون جنازته، في يوم اربعاء دون ان يعرف منهم احداً، ودون حتى ان يعرفونه هم..

كانت نهايته اشبه بفيلم سينيمائي رديء، لم يستطع مخرجوه ان يكملوه فأنهوه بسرعة..

وربما كان موته بهذه الطريقة كان الأقل تأثيراً على العائلتين، فعائلة قد توفي ابنها دون ان تدرك ذلك، وأخرى تظن ان ابنها قد توفي دون ان تدرك انه ما زال على قيد الحياة..

الغريب في الأمر، انه توفي في نفس المكان الذي وقع فيه بالحب.. لأكون صادقاً، سيكون شيئاً أكثر غرابة لو انه لم يموت هناك..

أمام إشارة المرور نفسها، في المكان نفسه الذي كان قد التقى بها فيه، قد توفي دعساً بسيارة..

كانت هي تخاف من السيارات كثيراً، كانت تمسك بيده كلما أرادت ان يقطعاً طريقاً ما، ولما تركته.. صار يكره السيارات، الطرق، الرصيف، وإشارات المرور.. وحين مات، مات دعساً، لم يكن حادث سير. فقط، كان حدث نفة..

الثقة التي ملأت قلبه حبها، حتى بدأ يفرغ الدنيا من قلبه  
شينا' فشيناً' حتى قد تملكته هي، ولما تركته تركته  
فارغاً..

ولطالما فكرت.. ماذا كان سيحدث لوالديه، لأصدقائه،  
للذين أحبوه، لو أنهم أدركوا أنه قد توفي؟

وكنت أفكر أكثر، ماذا كان سيحدث لها لو أدركت هي  
موتة وقتها؟ الغريب في الأمر، أن الوفاة موجعة كثيراً'  
بأنسبة لنا، لأننا ندرك أننا ما عاد باستطاعتنا الحديث مع  
الميت، البوح له بأسرارنا، ملامسة أصابعه، احتضانه،  
نقبيله، مرافقته إلى مكان ما، احتساء فنجان قهوة معه،  
الضحك على نكتة هو قائلها، قطع الطريق سوياً، مشاهدة  
فيلم.. أو حتى الذهاب للتأرجح معه، مع أننا في الحياة ما  
عنا نمارس هذه الأمور معه أصلاً، وأنا قد افترقنا منذ  
مدة طويلة!!

لماذا نصرُ إذاً على الابتعاد وعدم الحديث، مع أننا ندرك  
أن الموت قد يخطف أحدهم فجأة، ولن نستطيع الحديث  
معه بعدها؟! ولماذا إذا ما فعلنا ذلك، فإن الأمر يؤلمان  
بفقدانه، ونحن الذين إذا ظل جانبنا ما استفدنا من وجوده  
شيناً؟! نحن قادرين على التماسك لدهر طويل جداً نون



الحديث معه، لكننا ننكسر إذا ما ابتلعتة الأرض..

لذا رجاء .. عندما تتخاصمون مع أحدهم - صديق، حبيب، أم، أخت، معلم، أو أياً كان - لا تجعلوا الأمر يطول كثيراً، إن تشاجرتم فابتعدوا لمدة لا تزيد عن نصف ساعة، ثم ابدؤوا بتذكر الأشياء الجميلة التي حدثت بينكم، أية ضحكة، أية جملة، أي موقف، أي شيء يجعلكم تبسّمون.. ثم عودوا وكان الأمر لم يحدث.. لا تنتظروا الفقدان لتذكر محاسن الأشخاص..

الوقت - بعيداً عن الشخص الذي تحب - لا يصلح شيئاً، الوقت يفسد الأشياء جميعها، الوقت لا ينسي شيئاً، وإنما يجعل قلبك بابسا متلبداً، ويردك جنّة على قيد الحياة..  
وإنها لأكبر مهزلة تحدث، أن يحل أحدهم مكان أحد. آخر، وتكمل الحياة هكذا..

ما الفرق بين الموت والبعث؟  
لا شيء..  
مجرد فرصة

بعد عدة أيام من تلك الحادثة عدت إلى البيت، بيت معاذ جهاد، ودون أن تكلمني أمي -أمه - فتحت لي الباب، وكنت أعرف تفاصيل البيت كاملاً، فصعدت الدرج إلى غرفتي..

ليلتها نادى علي أبي -أبوه - وجلس يناقشني بالمشاكل التي حدثت في الأونة الأخيرة، وأنا ظللت صامتاً لفترة طويلة قبل أن أعتر له على ما حدث، ولملمت نفسي للهرب والصعود إلى غرفتي، وقد شعرت وقتها أنني أضعف من أن أستطيع تقمص دوره كاملاً..

لطفاء هم، عائلة صغيرة يأتيها قوتها يومياً، يتشاجرون أحياناً، يضحكون أحياناً أخرى.. لكنهم لطفاء .. وكنت كلما جلست معهم أشعر بالسعادة وأنا الذي ما كان مكثراً هذا يوماً..

في الأيام الأولى كان الأمر غريباً جداً علي وعليهم، أمي -أمه - بدت عليها علامات الاستغراب من تصرفاتي التي قالت لم تعندهما من قبل كما قالت.. تحضير الفطور في الصباح، ترتيب غرفتي، رمي النفايات خارجاً..

وظالما رددت لها، اعتبريني شخصاً آخرًا من اليوم

فصاعداً ..

بعد مدة قررت تكلمة ما كان ينوي عمله معاذ، وبدأت التحضير للرواية.. وجئت إليك كما أوصاني..

وأحسست أن ينال وقتها كان يحتاج إلى أسبوعين آخرين ليستوعب كل ما حدث..

بعد أن حدث كل ذلك وبحث لينال بكل شيء، عدت للبيت  
 كمن عادت له ذاكرته للتو، وأحسست للحظة أنني كنت قد  
 بدأت أتقص الشخصية ونسيت حدود نفسي..

وقررت يومها أنه وإذ وقعت الواقعة وصرت أنا هنا، إن  
 أتقص الشخصية كاملة بكامل تفاصيل معاذ الذي رحل  
 وتركني خليفة له..

هو علمني كيف أفنع العامة أنني مثقف، لم يعلمني إن  
 أصبح مثقفاً حقاً..

يومها، أمسكت لأول مرة - منذ عشر سنين تقريباً - كتاباً  
 بيدي غير الذين كنت أوقعهم، وبدأت أقرأ فيه، فكيف  
 يشبه أمي أن يقنع العامة بثقافته؟!

وإن الأمر قد شغلني لأيام كثيرة جداً، كيف بإمكانني أنا  
 ذلك الشاب الذي لم يكمل الصف الثامن ولم يقرأ في حياته  
 رواية من قبل أن يقنع كل هؤلاء بثقافته المزعومة، وإن  
 يصبح في ظرف عدة أيام كاتباً يتلا اسمه في الأرجاء  
 كثيراً...

المشكلة الأكبر أن لا أحد يقف أمام العاصفة بتاتا، إيمان

يسيروا مع التيار، أو يتجنبوه تماماً، لكنهم لا يواجهونه  
بشكل جاد..

وإنني كلما كنت أخطئ في أمر ثقافي - معلومة أو فكرة -  
أؤل الأمر إلى غير ما قصدت، وأصبح فكرة عظيمة  
برأي القراء.. مرات كثيرة حدث الأمر، ولم أضطر إلى  
تصليح الجملة، أخطاء الكتاب أفكار عظيمة..

وفكرت مراراً، ماذا لو كانت كثيرة هي الأشياء المصطنعة  
في حياتنا؟ ماذا لو اتضح في نهاية الأمر، أن الأمور التي  
نحبها - كل الأمور - ما هي إلا بلاستيك قد أحسن صنعه  
صانعه..

نكم من كاتب يتضح في نهاية الأمر أن نصوصه مسروقة،  
أو أنك إذا ما التقيت به كان مختلفاً عن ما هيأ لك نفسه،  
وكم من مغنٍ إذا ما أمامنا غنى كان صوته أقل جمالاً من  
ما زرع في داخلنا، كم من شيخ مسجد وجدناه بعد فترة  
لصاً أو شيخ سلطة، وكم منهم كانوا أصدقاء لنا حسبناهم  
مثاليين إلى درجة مطلقة ولن يؤذوننا أبداً، ثم اتضح في  
نهاية النص أن لا أحد قد آذانا كما فعلوا، وماذا لو كشف  
الغطاء، ووجدنا أن رئيس دولة ما هو إلا صورة يرصاها  
لا تشبهه، وما هو إلا أحدهم جاء ليدمر البلاد لاحقاً! وماذا

يثبت لنا ان الأشياء حقيقية بعد؟! وأن المهرج سعيد دائما؟  
وأن الراقصة التي تضحك ملء ثغرها في الأوقات  
جميعا، وماذا لو اتضح في النهاية أننا كلنا ممثلون  
بالفطرة؟

وإن التناقضات تملأ حياتنا..

\*\*\*

عندما رأيتها لثاني مرة، كان كل شيء قد تغير في، وكانت  
الأشياء تجعلني أكثر بلاهة وأقل تماسكا، بدأت بإمراض  
العامة وملاحظة أدق التفاصيل فيها، انحناءات عنقها،  
حببات النمش التي تناثرت على وجنتيها، وشعر رأسها  
المبالغ في سواده، أنفها المخلوق تحفة فنية، رمش العيون  
الذي وكأنه رتب رمشا رمشا أثناء الخلق كل رمش.  
في مكانه، والعينين الواسعتين وكنت أخالهما تتسعان لها،  
والذي لم يزع عينيهما الزرقاوتين، يعجبه البحر..

وكانت فاتنة، ولولا إذ أنها كانت بعيدة عني قليلا ووضع  
يدها على شفتيها بعد أن أكملت نصف ضحكتها، لكنني قد  
نسيت التنفس واختنقت قبل أن تكمل نصفها الباقي..

وكنت أسأل، هل بقيت امرأة على هذا الكوكب يتمنى بحر

يقالو تكون رموشها على شاطئه او يكون هو بحرها؟!  
او يكون عنقها بتفاصيله كتفاصيل بيت قديم تركه أهله  
قل النكبة وفروا، وما استحوذ الجند عليه؟  
ركانت حدود خصرها أصغر من حدود دولتنا..

وقد استطعت لمراتٍ عدةٍ الإمساك بعينيها تنظران إلي،  
وأنا الذي تلتفت إليه كل العيون في آخر فترة، ولم تكن  
غير عينيها تجعلانني فخورا بما أنا عليه الآن، وأنا الذي  
ما كلمتها من قبل إلا « عفوا، إيش اسمك؟ »..

وإنني قد فكرت لمراتٍ كثيرةٍ أن أقوم من مجلسي  
نون أدنى مبررٍ وأن أخاطبها.. لكن ما صرت عليه من  
بلاستيكية النفس وتظاهرها بالقوة، لم تجعلاني أفعل  
شيئا أكثر من النظر إليها..



\*\*\*  
الساعة الحادية عشر مساءً، كنت أسمع خطوات أرمي  
تتجه إلي، كنت شبه نائم، وتظاهرت بالنوم أكثر، رفعت  
الغطاء، وغطت به ما ظهر من قدمي، أطفأت النور وقبل  
أن اخذها.. أغلقت الباب..

وقد وضع قدمي على أخرى بعدما أشعل سيجارته..

- صرت معجباً بإحداهن؟

- لا أعرف.. لا أظن ذلك.. ربما..

- لا تتن أنك مجرد لا شيء، هذا ليس الواقع الذي

تعيش فيه بتاتا، إنه أشبه بالحلم بالنسبة إليك.

- إنه الواقع.

- أنت لست معاذ..

- لقد أصبحت معاذ جهاد الآن، أنا هو، وهو ميت.

- لكنك تعرف أنك لست حقيقياً بتاتا.

- هم لا يعرفون ذلك.

- ليس المهم ما يعرفونه، المهم ما تعرفه أنت..

وقد صمت، وأدركت صدق قوله فأكمل:

- أعجبتك؟

- لا أعرف.

• ما اسمها؟

• لا اعرف.

• أوليس مهماً أيضاً؟ ماذا تعرف عنها؟ ماذا تحب؟

من أي عائلة هي؟ ما أصولها؟ أتجيد الطهي؟ أحب

القراءة؟ أمي ذكية أم غبية؟ أمنفتحة عن العادات

والثقافة أم مغلقة على نفسها؟ أقوى هي أو ضعيفة؟

ماذا تعرف؟

• اعرف أنني أحبها..

كان الشعور الذي قد حل بي وقتها الأقوى منذ سنين

طويلة، وإنني لم أشعر بذلك من قبل، وكيف لأحدهم

يعثر السيارات طيلة الوقت أن يكون في وقته منسع

لعشق إحداهن، وكيف لأحدهم يرى امرأة بكل تلك

الرزانة ولا يقع في عشقها، لم أكن أدرك أكان ذلك حبا

أم محض تهيؤات، لكنني كنت أدرك أن امرأة كنتك لن

تكرر مرتين...

في الساعة صباحاً، استيقظت على هاتفي - الذي كان هاتفي من قبل- وكان يدوي منذ فترة، التقطته وحاولت فيه عيني، وتطلعت إلى واجهته.. وكان اسمها «نهاوند».

وجاء ذلك الصوت من بعيد محذراً إياي: - «إيش ما صار تجاوبش، هاي مخادعة كثير، أنا كشفت سرها.. بس مش رح يصدقوني.. اعمل ايش بدك بس تقرير منها».

تركت الهاتف يعوي جانباً، نهضت وغسلت عيني، وكان لا يزال يصرخ بي، لا أعرف لماذا قد خالفت وصيته وفتأت إحدى عينيه مجيباً: \_

- مرحباً.

وكانت تبكي:

- نهاوند.. اسمعيني، ايش في؟

- ما فش اشي.. ممكن أشوفك؟

- ما هو اتفقنا إن ما نشوفش بعض..

- طيب زي ما بدك..

وأغلق الهاتف، ورق قلبي واتصلت بها مجدداً:

- على الوحدة؟
- بحديقة سيادته؟
- بحديقة سيادته..

تذخرني من قبل قانلاً «في النهاية، رح ترجعك، ما خش حبها كد ما أنا حبيتها، كلهم كانوا بدهم إياها قوية، رانا الي حبيت ضعفها، كلهم كانوا بدهم إياها تضحك وأن بس تحملت عياطها لساعات كثيرة، جميعهم كانوا حابين بيوسوها، وأنا بس الي كنت مستعد أكمل طول حيتي وهي بحضني. بس لازم أحذرك، في سر عنها ما حدش عرفه غيري.. لهيك شو ما صار، تقبلش انها ترجع، كل ما رجعت رح تقتل اشي فيك»..

## المساءة 12:40 - شارع الإرسال

كنت لا أزال قابعاً داخل حدود العينين الواسعتين اللتين  
سجنت فيهما وما حاولت الفرار. وفكرت فيها مراراً  
وتكراراً، وكلما أغمضت عيني داهمتني صورتها،  
واعتقلت شيئاً في، وكنت كالأبله أبتسم في وجوه المارة  
دون أن أدرك في بادئ الأمر، أنهم يستغربون من هذا  
الفتى الذي وقع في الحب، أو على ما يبدو أنه الحب..

وفكرت.. ربما لأنني لم أعاشر نساء قط من قبل، وكانت  
تلك حورية رأيتها تسقط علي من الجنة. ولكن.. في الأيام  
القليلة الخاوية التي عشت فيها هذه الحياة الجديدة، قد  
رافقت من الفتيات اللواتي كن على معرفة به..

إلا أنها مختلفة، بنصف ضحكتها تلك، بتسريحة الشعر  
البسيطة، بمساحيق وجهها، بحركات يديها، بالنمش على  
خدها، وتمنيت للحظة لو أنني أخلق في الحياة اللاحقة  
نمشة ها هناك..

على كتفي الأيمن، وصوت جاء باسمه «معاذ» فأدبرت  
وجهي.. وكانت هي، وتلبدت وأنا أدير بكامل جسدي  
إليها، واقف دون حراك ودون أدنى معرفة. مني لما قد

فعل الآن .. وأعانني الله فنطقت:

- أهلا.. كيفك؟

- تمام الحمد لله كيفك انت؟

- الحمد لله

وظلت واقفة وكأنها تنتظر شيئا، وتلبدت أنا أكثر، وتاهت الأفكار في رأسي، وضعت في عينيها مرة أخرى، وكنت لئن انها تنجيني في الوقت الذي كانت تضيعني أكثر..

منمنة « إيش رأيك نشرب شاي المرة؟ بمحل قريب هون.. على نوقي».

وما كان الأمر يحتمل الرفض بتاتا، امرأة كتلك لا يقال لها « لا»، امرأة كتلك ستكون بكامل وعيك إن قلت لها «أحبك» عوضا عن « مرحبا»..

لنا جلسنا في مقهى ما، وتذكرت مواعي ذلك، إلا أنها بكلمتين فقط قد أنستنيه إياه..

هنا متماسكا كنت، محاولا التحديق في عينيها بكامل شفقي وبكامل نزقي، وحدقت بي، وأطلنا التحديق، وتبسمت .. ولولا أن جاء حامل الشاي لما صحت..

لم أتجرأ أن أسألها عن اسمها بتاتاً، ففي المرة السابقة،  
عندما أرأيت توقيع الرواية أحسست بالذنب عندما فعلت  
ذلك، وقلت في نفسي أنه يجدر بها أن تبوح به، لكنها  
وطيلة الوقت لم تفعل..

- لسألك لابس هاد السنسال بشوف..

لم أعرف مغزى سؤالها لحظتها، فتبسمت دون أن أجيب،  
وظلنا لفترة طويلة جداً نتبادل النظرات، وأنا لا أفهم ما  
يحدث بتاتاً، لكنني كنت استمتع بالأمر..

- رح تضل هادي كثير؟ مش رح نحكي؟

- ضروري نحكي؟

- لا مش ضروري.. خرينا صاقنين ببعض..

قالتها ضاحكة، ولم تدرك وقتها أن ذلك أجمل ما يمكن  
أن يحدث، وأجمل ما حدث.. واستمرينا على هذا النحو  
لما يزيد عن نصف ساعة دون النقاش في أي حديث،  
ثم خرجنا من هناك، وطلبت مني إيصالها إلى موقف  
 للسيارات، وأوصلتها، ولما وصلنا استطعت لأول مرة  
تجميع عدة كلمات دون التفكير بالأمر كثيراً..

..ممكن أرجع أشوفك؟

..أكيد معاذ..

رضحكت.

..

حينما وصلت البيت، أحسست بشعور الذي قد صحى من  
ظلمة فجأة وما كان يبغى أن يصحو منه بتاتا.

رقتها، أعدت الذاكرة مرارا وتكرارا،

وأعدت المشهد ألف مرة،

وأنا أراها تضرب على كتفي لتوقفني،

تتسم،

أراها تحملق في،

نحسى الشاي مرة وثانية وثالثة..

وتمنيت لو أن كأس الشاي ذاك لا ينتهي،

وتمنيت أن يطول اليوم إلى الأبد،

وأن يعاد في دائرة إلى مالانهاية.

بدأ اليوم برويتها، أوصلها إلى موقف السيارات، ثم تعود

توقفني..

نحسى الشاي،

أوصلها إلى موقف السيارات، ثم تعود توقفني..



وتمنيت لو أن الشارع من المقهى إلى الموقف ذاك يطول  
أكثر وأكثر..

وعنت كالأبله أراقص مخدتي في أنحاء البيت واقبل  
الأشياء جميعها، وأضحك بأعلى صوتي.. وكان ذلك  
الشعور الذي تفرد في الأجل منذ سنين طويلة، وأنا  
الذي لم أذق شعوراً يشبهه من قبل..

وتبسمت، وعجبت لأمر هذه الدنيا التي توقظ أحدهم من  
أسفل السيارات، وتعليه إلى عيني امرأة..

وكان الأمر يبدو وكأنها المرأة التي سقطت من الجنة  
سهواً..

وكانت تلك التي لم يخلق مثلها في البلاد، وكان جمالها لا  
يبقى ولا يذو.

وكنت أبو كالذي جن من الحب..

وإنني لما خشيت التعمق في الأمر أكثر دعيت «ربي»  
إني قد مسني الحب، وأنت أرحم الرحمين..»

وأدركت وقتها أنني مقبلٌ على مرحلة أخرى مغايرة  
تماماً لما عشته في الأيام الخالية، وأن عاصفة ما قد  
ضربت هذا القلب، وأنه علي التثبيت بكل ما أوتيت من  
قوة..

إني أنني تذكرت لاحقاً أنني قد أخلفت موعداً مع نهاوند،  
لغة التي كان يحبها معاذ من قبل..

تلفظت الهاتف، وبحثت عن اسمها واتصلت، ورن ثلاث  
رنات. قبل أن تجب..

- مساء الخير..

- أهلاً معاذ

- اسف.. كنت بدي أعذر عن اليوم..

- إيش إيش ماله؟ كان يوم حلو.. والشاي بميرمية ازكى  
بكثير..

كنت يومها قد وضعت ورقةً على الباب كتب فيها «لا  
تظني الباب رجاء» بعدما ضقت ذرعاً منه..

وحاولت،

حاولت بقدر ما استطعت..

لكن الباب كان قد أغلق..

جلس على الكرسي واضعاً قنما فوق الأخرى، وقد أشعل  
سيجارته وبدأ بالتفقهه، علت قهقهاته في الأرجاء.. وقد  
حاولت -عاجزًا- إغلاق إذني بيدي محاولاً منع صوته  
أن يتسرب في أكثر..

- لنحاول فهم الأمر، كنتُ معجباً بإحداهن، وذهبت  
لتقابل أخرى، فقابلت الأولى، ونسيت الثانية.. ثم اتضح  
بعد ذلك أن الاثنتين واحدة..

وعاد إلى قهقهته مجدداً.. محاولاً إسكاته قلت:

- أرجوك، عد مرة أخرى.. ليس اليوم، أتوسل إليك..

وقف تاركاً الكرسي، وأنا مستلقٍ على السرير واقتراب  
مني وهمس..

- أنا متأسف..

ثم علا صوته..

- لنراجع الأمر.. انفق معك أن تصبح هو، وأن تصبح

أمه أمك، وأبوه أباك، وحتى إخوته إخوتك، ولكن قل

لك.. لا تقترب منها.. لقد حذرك، وأنت ماذا فعلت!؟

أرجوك كفى.. أريد النوم..

- للأسف، تعرف.. معي من الوقت حتى يطلع الفجر..

اني (ونظر إلى ساعته) ما يقرب الثلاث ساعات..  
- لتراجع الأمر؟

- أرجوك.. في ما في..

- قلت لك أيها الأبله.. أنت لست إلا نسخة رديئة منك..

أنت محض وهم، ممثل ثانوي استعير به عن الأصلي،

أنت نسخة مقلدة.. مجردة..

وظلّ طيلة الوقت يذكرني باللعة التي حلت بي..

مكرراً « كنت معجباً بإحداهن، وذهبت لتقابل أخرى،

تقابلت الأولى ونسيت الثانية.. ثم اتضح بعد ذلك أن

الاثنتين واحدة..».



## الفصل الخامس قطف التفاحة

لماذا قطفت التفاحة؟! لقد حذروك كثيراً من الأمر..

الذين ألو في نهاية الأمر إلى الدرك الأسفل من النار، بدأت معصيتهم بكذبة، سرقة، ثم بدأ الأمر يتطور تدريجياً حتى وصلوا إليه..

الحب يشبه ذلك كثيراً..

ستضع حدوداً في بداية الأمر، لن تكون هذه العلاقة أكثر من صداقة، «هذا شيء مؤكد وأنا قوي وأستطيع السيطرة، سيكون كل شيء على ما يرام» تقول في نفسك..

في المقابلة الأولى ستحاول الإلتزام بالمبدأ، صداقة فقط.. في المرة الثانية ستقول لنفسك أنها صداقة جدية ليست أكثر...

في الثالثة تظن أن الصداقة أصبحت قوية ولم تصبح شيئاً آخراً...

في الرابعة تقول لنفسك «حسناً، هذا لا يسمى الحب، نحن محض صديقان قريبان من بعضنا».

في المرة الخامسة وبعد أن تعتادا على مغازلة بعضكما والمداعبة بأطراف الأصابع، والتكلم حتى الثانية ليلاً، والهروب من كل شيء إلى بعضكما، وإظهار الغيرة كثيراً، والغضب من أتفه الأمور، والنظرات الجميلة،

ضحكات الأجل.. بعد كل هذه التفاصيل ستقول أنكما  
مستيقان حميمان لا أكثر.. عندما تخسر الشخص إلى  
الأبد، وقتها تقول أنه كان حبا..

وهكذا كان الأمر.. فكرت لفترة طويلة جداً عن نصائحه،  
لكن المشكلة أننا في تلك اللحظات لا نحتاج إلى النصائح  
بتقاً بقدر ما نحتاج إلى التجربة..

«إنها ليست شريرة كما قيل لي، أنا متأكد من الأمر»  
قلت في نفسي، إن عيوننا كهذه لا يمكن أن تكون إلا  
عيون ملاك، الشياطين لا تملك ضحكات جميلة ولا  
عيوناً فاتنة..

وظلت لأيام عديدة أحاول التخلص من الأمر رغم إيماني  
رحمتها- استحالة كونها بما وصفه لي معاذ من قبل، لكنني  
في كل الحالات وعدته وعلي أن أفي..

وانتقت مع نفسي على الأمر، لن أخاطبها، لن أعود  
لألقبها، سأنسى كل شيء عنها، وحتى إذا حاولت هي  
نلك ساوقها.. وبعد أن قررت ذلك بدقيقتين، كان هاتفه لا  
يصيح بي، وكانت هي ودون وعي أجبت..

- اشتقتك..



وكانت تلك الكلمة كافية لأخلف كل المعاهدات التي  
عاهدتها مع نفسي..

اتفقنا في بادئ الأمر أن أراها، أوضحت لها أنني اشتاقها  
أنا أيضا، لكن ما حدث في الماضي يجعلني أقرر أن  
يبقى ما بيننا محض صداقة لا أكثر..

عندما كنت النقيها في كل مرة.. كنت أشعر أنها المرة  
الأولى التي أراها فيها، وكنت أشعر أنني في كل مرة أولاد  
من جديد. [لها ضحكة طفلة ولدت البارحة ولم تعرف من  
الدنيا الفسوة، وفي قلبها العنمة كرجل عاش منتين سنة  
في الحروب]

كيف تعامل فتاة بطريقة جيدة؟ عاملها كطفلة.

في المرات الأولى، كانت الأشياء جامدة.. لكن واحدة  
كتلك تمنى الجمادات لو تتحرك وتراقصها..

لقد كانت ثورية إلى حد يجعلك تحبها من جديد في كل  
مرة، كنت كلما قابلتها أشعر أن محض وجودي معها  
عمل وطني أستحق عليه نجمة ما تعلق على قلبي، حديثها  
-الذي يتشعب كثيرا إلى أن يصل إلى موضوع وطني،  
أم شهيد، أم أسير، مخيم أو أي شيء - كان يأسرني،  
وكننت أرائي خائنا للوطن بصحراء عقلي القاحلة، التي

لم تكن تعرف من الشهداء إلا محمد الدرة، ومن الأسرى  
مدى البرغوثي..

كانت امرأة تصلح لأن تكون قائدة جيش في معركة على  
الأمل، وكنت أهزم دوماً قبل أن تبدأ معاركنا..

بدأ الأمر بعينيها التين كانتا تقولان لي بأنها تحن إلى  
صفد، وكنت أرى عينيها صفد وأراني لاجئاً، وإنني كلما  
نظرت إليها شممت رائحة كروم الزيتون، وكلما أغلقت  
عينيها، ضاقت بي جدران المخيم..

وبدأ الأمر ينمو عندما ذهبنا للتأرجح أول مرة، وكان  
شعرها الذي كلما طار رأيت نفسي وإياها بجانب البحر..  
وبدأت بالتعلق بها كثيراً.. وأحسست لأول مرة أن هناك  
شيء آخرى على هذا الكوكب الغير صالح للحياة بعيداً  
عن عوادم وإطارات السيارات، ومن وقتها بدأت بالتفكير  
بشيء غريبة قد تجعلها منبهرة فيّ، وأنا الذي ليس فيّ  
شيء يستحق الدهشة..

حاولت جعل العينين - التي أحسست للحظة بأنهما لا  
يقولان عن البكاء ليلاً - تضحكان بكامل اتساعهما..

لا يبدأ اليوم بتاتا حينما تنتصف الليلة، يبدأ اليوم حين  
أراك. والديوك كاذبة، الفجر يبدأ بعد صباح الخير منك..

\*\*\*

صباحا.. كان باب بيت العجوز الذي لم يزرها أحد منذ  
فترة طويلة جدا، قد طرق لمرات عدة.. فاتحة الباب،  
وهي تنكئ على عصا لها وتقول:

- مين؟ البلدية؟

وكنا نحن الطارقين فأجبت «لا يا حجة.. افتحيننا لو  
سمحت».

وفتحت الباب وتفحصتنا من أعلننا إلى أسفلنا ثم قالت:

- أهلا يا ستي.. تفضلوا..

وقد أمسكت بيدها شبه مصافح..

- يا حجة جابين أنا وهالصبية الحلوة، حابين نقعد عدرج  
البيت تاكك - وكان للبيت درج طويل يمتد أمامه من تلك  
الأدراج المعلقة التي ازدانت بقواوير من ورد وضعت  
على جنبه - إذا بتمانعش طبعاً..

- لا يا ستي.. أهلا وسهلاً..

منسمة بيدها وجه نهاوند ضاحكة..

- أعمللكم شاي؟

- لا يا حجة.. بدناش نغلبك (ردت نهاوند) ..

- جاين عبيتي وما أعمللكم شاي؟ قليلين أصل إحنا

ياستي؟

- حاشاك يا حجة.

تت لها وتبسمت فردت نهاوند ..

- طب اسمعي يما.. انت أقعدي هان وأنا بعمل شاي بس

نليني عالمطبخ..

وماعدت العجوز في الجلوس إذ دخلت نهاوند إلى المطبخ  
رتمت:

- الله يخليكم لبعض يا خالتي.. زمان إلكم متجوزين؟

لم أعرف بماذا أجيب، فتمتت قليلا ثم قلت..

- اه إنا فترة يا حجة..

- نير بالك عليها منيح وحطها في عينيك.. ماشالله عنها  
فلكة قمر..

- في عيني يا حجة..

- النسوان بدهن الي يدلهن.. بس تنساش إنك انت  
الزلمة..

وقد ضحكت كثيرا قبل أن تأتي نهاوند بالشاي.. تناولته  
منها ووضعته أرضا.. ثم قلت..

- والله أهلين يا حجة..

- أهلين يما..

تطلعت إلي نهاوند هامة قائلة « ما حطيتش سكر..

عشان الحجة.. بلاش يكون معها إشي لا سمح الله..

وكنت لا أشرب الشاي من دون سكر فسألتها :

- متأكدة؟ نوفي كاستي..

أمسكت بكوب الشاي وقد ارتشفت منه قليلا ..

- فش فيه سكر..

- هلا صار فيه..

ولما شربت الشاي بدون سكر،  
ذابت شفطها فيه..

\*\*\*

بعد ثلاثة أيام هاتفنتي وطلبت رؤيتي من جديد، وحينما التقينا اتفقنا الذهاب إلى السينما لمشاهدة فيلم ما وذهبتنا كانت القاعة تلك فارغة إلا منا، كانت هي تحملق في شاشة العرض، وكنت أنا أحملق في عينيها، واستمر الفيلم مدة ساعتين..

\*\*\*

بعد يومين..

في مكتبة ما في رام الله كانت جالسة على الكرسي، وقد وضعت يديها على الطاولة، وأرخت رأسها عليهما.. وكنت قد وصلت ورأيتها، فوضعت يدي على ما ظهر من يدها فاستقامت، وكانت فاتنة، بنمش وجهها والشعر الفوضوي الذي لا يسكن أبدا.

وبعد أن صافحتها وسألتها عن الكتاب الذي قد وضع جانبها، وحاولت أن ألتقطه اصطدمت بالخطأ أطراف أصابعي بيدها، وكان ذلك من أجمل الأخطاء التي اقترفتها يوماً..

عندما لامست أطراف أصابعي أطراف أصابعها بالخطأ،  
نسيت كيفية النطق.. خطأ أو اثنان آخران وساعدتني إلى  
رحم أمي..

رضحكت ..

- بحب ضحكك هاي، واثقة إنك بتكون مبسوط لما  
أكون جنبك.

- مين ضحك عليك وحقالك إني بكون مبسوط؟  
قلبك..

- ما بتعرفي إيش جواه..

- بس بسمع وبحس بدقاته..

- بكون بضخ بدم مش أكثر.

- ليكونوا كل جرحى الإنتفاضة جواك ليضخ بكل هاي  
أسرعة!؟

يومها، ودون أن تدري، وضعت يومها رسالة - كنت قد  
نضيت الليلة في كتابتها - في حقيبتها بعد أن تذكرت  
أن معاذ كان قد أخبرني بولعها بالرسائل سابقاً - وكانت  
تلك بادرة لسلسلة من الرسائل الكثيرة التي كنا نتبادلها..  
نضعها في كتب بعضنا، في حقائبنا، أو نسلمها باليد ثم  
ننسى..



صديقتي نهاوند..

إنني أشعر بروحي الآن، أشعر بها كلها وكأنني خلقت مرة أخرى، وكأنني كنت من قبل مصلح سيارات واصبحت في ظرف ليلة كاتباً، تخيلي أن يكون ذلك قد حدث حقاً؟ إنني أشعر بهذا الشعور بعدما حققت روايتي نجاحاً لم أحلم به.

غير أن هذا ليس ما يجعلني ما أنا عليه من السعادة الآن، ضحكك من تفعل ذلك..

أعرف أنه حدث بيننا من الخصام ما حدث، لكن الأشياء تصلح مراراً وتكراراً، والينابيع - كل الينابيع - قد تتلوث أحياناً، لكنها تصفو مع مرور الوقت..

فعلام نريد الاستمرار في هذه الزاوية الضيقة؟ ألا يمكننا نسيان الأمر؟!!

أنا أعرف أن ما حدث في الأيام القليلة الماضية جعلنا نعيد شيئاً ما من صداقتنا، لكنني أرى الخوف في عينيك في كل مرة، أشعر به، وأنا - أقسم - قد نسيت كل شيء مما حدث، ولا أنكر أي شيء بتاتاً..

فماذا لا نتفق أن نعود بصداقتنا منذ البدء؟ وكان لا شيء  
منشأ، وكاننا التقينا من جديد شخصين آخرين؟

إن الذي يرى هذه العيون في كل مرة، قادرٌ على نسيان  
نفسه مراتٍ كثيرة..

نعت بخير..

\*\*\*

الصديق معاذ جهاد..

كما لم أرَ شخصاً يعبئ عيني من قبل أنا أراك، وأراك  
مختلفاً وكثيراً..

في كل مرة أشعر أنك لست الشخص نفسه الذي عرفته  
من قبل، ربما تكون فرضيتك عن أنك مصلح سيارات  
صحيحة، في كل مرة تثبت لي أنك مختلف بطريقة  
استثنائية وتتفوق على نفسك، لم يحاول أحدهم من قبل  
أن يخرجني من هذه العتمة إلى نور لم أحسبه قد خلق  
على هذه الأرض، لكنك حاولت، ولي ثقة بعزمك الذي  
لا ينضب..

إنني أشعر بكل ضحكة ترسمها على وجهي النعيس،  
وإنني بدأت أؤمن السعادة معك..

صديقي معاذ، الأنتى أضعف من أن تحفظ شيئاً يسعدها،  
وأقوى من أن تنسى شيئاً يحزنها، إن في من الحزن ما  
يكفي العشييرة، وإنني مللت فقدان.. وأنا أفتقدك.

كما لو أن الأمور كلها التي حدثت ما حدثت أنا أعاملك  
الآن..

من لي صديقاً وأكثر قليلاً..

ملاحظة:

تأخر غداً في القنوم إلى المكتبة فلا تنزعج..  
عني أقسم أنني سأشغفك إذا أتيت مبكرة  
وتأخرت أنت..

وكما جرت العادة، في حديقة الاستقلال كنا نتأرجح بعد  
عدة أيام ونتغازل بطريقة جنونية:

- مش ناوي تكتب عني رواية أو قصة؟
- خصرك لحاله قصة..
- بنفع المرة الجاي تحكي إشي أعرف أرد عليه؟
- المرة الجاي بحكيك بحبك..
- قلنك إشي أعرف أرد عليه مش إشي يوقلي قلبي..

### الرسالة 3:

صديقتي نهاوند:

الأرجوحة التي قلبت البارحة - بعد أن تارجحنا عليها - أنها ستستمر بالتأرجح كثيراً، عدت إليها ووجدتك صادقة، ما زالت تتراقص من بعدك.. أشياء أخرى تتراقص بالمناسبة، قلبي على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.. والأشياء جميعها مختلفة معك. على كل، السترة التي ارتديتها البارحة ما زالت رانحتك عالقةً فيها، كنت أريد أن أسأل، استبقي كثيراً هذ الرانحة أم أنني سأضطر لإلباسك السترة مجدداً؟!!

بمناسبة التصاق الأشياء.. مررت على بيت العجوز البارحة، وأوصتني أن أسلم على زوجتي، تقصدك.

وبعداً عن كل شيء، الجزء الثاني من فيلمنا - الذي انتظرناه طويلاً - سيعرض غداً، وعلبة «البوشار» لا أستطيع التهامها وحدي، فهل يمكنك المجيء؟

أتمنى أن تفعلي، وإن أردت الاعتذار فلا تخلفي عنراً، سأخلف أنا واحداً وسأقنع نفسي به.. إلى عينيّن لم أر مثلهما من قبل.

صديقي معاذ جهاد..

اعتذر عن خروجنا من الفيلم في منتصفه، واعتذر أنني  
لم أوضح لك الأمر، لكن الأمور تسوء قليلاً ولا أستطيع  
اليوم بما يجري..

إن الكرة الأرضية يا صديقي تقتل الطيبين أمثالنا، إن في  
من الحزن ما يكفي، وأنا الذي يملأ حياتي الصراخ، فهلا  
تبعدني عن ضجيج المدينة وتسكنني هدوء عينيك؟ وهلا  
تأخذني إلى مكانٍ ليس فيه أحدٌ سوانا، ليس فيه بشر ولا  
صراخ ولا قتل ولا نمار ولا حزن ولا هزيمة.. ليس فيه  
إلا أنا وأنت، وحيدان كأدم وحواء في بداية الخلق؟ وهلا  
نستطيع البقاء هناك حتى الموت، أو حتى القيامة؟

أنا يا عزيزي متعبٌ إلى الدرجة التي لا تريحني فيها  
الراحة، مريضة إلى الحد الذي لا تهدأ مرضي الحقن،  
وفى من الوجع كما لو أن أحدهم استمر في ضرب جسدي  
من أول ما ولدت إلى الآن..

وأنت -أنت وحدك- من أشعر بجانبه بأن الحياة تتسع،  
وإن النور - كل النور - موجود فيك..

صديقتي نهاوند..

الأميَاء كلها تصرخ بك وباسمك، أتعرفين يا صغيرتي  
كيف بإمكان الله أن يجعل قلبك يتسع للعالم وما فيها؟

وإن اتسع كيف بإمكانه أن يتسع لكل جملك؟!!

وكيف يمكنه سبحانه أن يختصر الدنيا في شخص  
واحد فقط؟

وكيف بإمكان كل الأشياء أن تصبح جمادات في حضرة  
عينك؟!!

وكيف أن الجمادات ترقص فيهما؟

أنا يا صغيرتي مفتون بك، إلى ذلك الحد الذي يجعلني  
غير قادر على العودة من هذه الفتنة..

على كل، هناك هدية صغيرة مع الرسالة.. أتمنى أن  
تعجبك..



عزيزي معاذ

اجمل الأشياء هي تلك التي يهديها لنا أصدقاؤنا،  
وإن البالونات التي أصبحت تحضرها في كل مرة نلتقي  
فيها، تجعلني أطير معها من الفرح،

وإنني أتبسم كلما تذكرتك وأنت تنفخ في واحد منها، حينما  
سألتك «لماذا لم تعبئه بالهيليوم هذه المرة؟» فأجبت «إنني  
أعبه أنفاسي يا نهاوند»

وكانت تلك الجملة أقوى ما قلت لي..

لكنني لن أقبل هذا العقد منك، هناك أشياء أخرى لم أستطع  
التخلص منها إلى الآن منك،

لا تزد على العبء أكثر وتعلقني بك..

جميقتي نهاوند..

إن شينا ما يتسرب إلى الأعماق ويتسبب فيها، شيء ما لا يرضى أن يطفو على الأفق بتاتا، أشعر به ينقل وينقل وينقل.. أشياء أخرى تحدث، على مدخل التاجي، في الرنتين، فوق قلبي، أسفل الحنجرة وعلى أطراف أصابعي.. شيء لا أظن أنني قادرٌ على السيطرة عليه بعد الآن..

أعرف أننا اتفقنا من قبل أن نكون أصدقاء فقط ولكنني الآن متحيرٌ قليلاً.. عندما اتفقنا ذلك أكنت تعين بكلمة أصدقاء ما تعني؟! عندما وافقت أن نكون أصدقاء، وافقت أن أكون إلى جانبك دوماً، هكذا تعني الكلمة بالنسبة لي.. المعاني الأخرى خاطئة.

عزيزتي نهاوند، المكان المتسع لا يعني بالضرورة أن لا أضطربك. والمنبه آلة رديئة جداً لمن وقع في الحب، الأحلام التي نختارها بعناية، كيف به يخرجنا منها، والمكتبات فوائد عدة، أهمها أن يجلس عاشقان ويقرأن عيون بعضهما، أن يتبادلا الغزل فيها، أن أقول لك أن ضحكك جميلة مرارا وتكرارا، أن تبسمي لي، وأن تلامس أطراف أصابعنا بالخطأ، وأن يحدث ذلك

كثيراً ..

الأرجوحة لم تخلق للصغار، أو أنك أنت التي لم تكبري  
إلى الآن. والشوارع لها فوائد عدة، أهمها أن يمسك اثنان  
بيدي بعضهما وهما يقطعانها، وإشارة المرور كاذبة، لا  
أمان في قطع الطريق عندما تخضر الإشارة، أنا أقطع  
الطريق عندما تمسكين يدي..

على كل... أنت جميلة جداً، وأنا مفتون بك حد اللاوعي..

عزيزي معاذ..

مذاق شعر العروس معك مختلف جداً، علينا تجربته  
مرات ومرات كثيرة، الركض في شوارع رام الله فكرة  
ليست سيئة كما كنت أظنها، أضف إلى ذلك أن ملاهي  
الأطفال مناسبة جداً للمراهقين أمثالنا، لا اعرف أكل هذا  
يخطر على بالك فجأة؟ أنت طفولي إلى تلك الدرجة؟ أم  
إنك تحاول جعلي سعيدة فقط؟ في كل الحالات، لا يهم..

على كل، ورداً على آخر رسالة منك يا صديقي، إن  
كل ما تشعر به ليس إلا محض خيال، نحن لن نكون  
لبعضنا البعض، لماذا لا نستمر هكذا صديقين إلى أن  
تقوم الساعة؟

لا أريد أن أخسرك..

الجميلة نهاوند ..

ما الفائدة إن اطعمتك كل يوم الحلوى؟! أتشبع الحلوى  
بطنا؟ وما الفائدة يا صغيرتي إن جلسنا نقرأ كتاباً مع  
بعضنا دون أن اتحسس شعرك؟ أي كتاب قد ينتهي في  
نصف ساعة؟! وما الفائدة إن لامست أصابعي اطراف  
أصابعك بالخطأ؟ أنتجب الأيدي طفلاً؟! أنا متعب جداً..

أنا أشعر بها الآن،

بكل حرفٍ خلق فيها،

ولا أستطيع إخفاءها أكثر..

السهم التي لا ترد هي سهام خانقة أو غادرة..

وأنا أحبك..

عزيزي معاذ..

كما لم يحب احدٌ احدًا انا احبك..

هناك مفاجأة أحضرها لك..

حبيبتي نهاوند..

لم أكن أعرف بتاتا، أن مفاجأتك ستكون أن تصطحبيني  
إلى المواجهات عند حاجز بيت إيل، ولكن وإن حدث  
الأمر، وكان غريبا جدا، فلتكن معاهدة بالحب الأبدي  
الذي بيننا...

سبقى نحب بعضنا إلى أن نموت بتفجير ما أو قبلة، أو  
رصاص، وعديني أن لا تكوني أنانية، وأن نموت بنفس  
الرصاص.

ستولين دوما 'أحبك كما أحب الوطن'،  
سنزوج في عيد الثورة، وفي يوم الزواج سنغني الأغاني  
الثورية، عوفر والمسكوبية، لينا كانت طفلة..  
لا أعتقد أنك قد ترتدين فستانا وكعبا طويلا...

أنت امرأة أشك أنها سترتدي جزمة حربية وكوفية في  
احتفال عرسنا، وأشك أنك ستطلبين مني وقتها حرق  
إطارات السيارات، ورفع لافتات الشهداء، والدعاء على  
إسرائيل بالموت، والرقص على صوت قصف معسكراتهم  
وعلى صوت صفارات الإنذار..  
لنتفق،

نحن نحتفل بأعياد الميلاد، ولا عيد الإستقلال المزيف،  
نحتفل بعيد الثورة، وسنعلن أوصلو ليلاً نهراً.

ستبادل القبل عند أقرب حاجز، وسادعوك لشرب فنجان  
قهوة معي عند عوفر.

ونتفق من البداية، لن تشارك في المواجهات دوني بتاتا  
مهما حدث، سنسير في المظاهرات معاً، سنرمي الحجارة  
معاً، سنمجن إن سجننا معاً - سافعل المستحيل لنعيش  
في سجن واحد- وسنعقد اتفاقيات كثيرة بيننا، وأعلم أنك  
ثورية جداً، ولن تلتزمي بالاتفاقيات كثيراً، وأحب ذلك..

على كل، نسيت أخبارك، لدي فوبيا جديدة الآن من حرف  
الهمزة، أي كلمة تبدأ بهمزة تبذل جهداً في أن تخرج  
«أحبك»،

لنا أحبك..



عزيزي معاذ..

«بحبك، وبلعن أو سلو»..

كما لو أن الثورة التي أطفأتها السلطات في البلاد، اشتعلت  
في قلبي للتو.

وكما لو أن الصغار الراكضين من الجند، يركضون في  
جسدي الآن.

كما لو أنني كنت حيفا وعدت إليّ بعد بضع سنين  
فتحاً..

أنا أحبك..

وكيف يمكن أن تكون قبضتك على يدي تشعرني بالحرية؟!

وكيف يمكن أن تسجن روحي إذا ما أفلت يدي؟!

وكيف يمكن أن يكون بيت والد إحداهن سجناً لها؟

وكيف يمكن أن تكون أرضاً بحجم صدرك وطناً مبتغى؟!

الجميلة نهاوند..

بمسك يديك عمل وطني، أنت لاجئة وأنا مقاوم، الكثيرون  
نقلوا صفاً من أيديهم، أنا أمسك شيئاً منها كلما أمسكت  
ببك..

ثوار يا عزيزتي لا يسقطون أبداً،

ولا يرحلون عن أوطانهم إلا شهداء،

في مسألة وقت لا أكثر، وسترين أحداً ما يطرق جدار  
بيك ويسقطه ويحررك منه..

استمرت مكالمتنا واحد وثلاثين دقيقة وثمان وعشرين  
ثانية ونحن نسمع أنفاس بعضنا دون أن ننطق حرفاً  
واحداً. ثم سألت: «معاذ، إنا إيش بنعمل؟»  
بنتنفس يا نهاوند، بنتنفس..

شاعري

نعاهدنا أن تمسك يدي كلما قطعنا الطريق..

البرحة قطعت الشارع دون يديك،

نسبت يدي على الرصيف،

احضرها معك..

حبيبي نهاوند..

كنت صديقة جدا قبل ثلاثة أيام حينما قلت - بعد أن تأقأفت -

أن طلاء أظافرك صعب الإزالة، فرانحته - وأشيء

أخرى - ما زالت عالقة في..

على كلب، أفكر في نشر رواية جديدة، رانحتك ستأخذ

حيزاً كبيراً منها..

حبيبتى نهاوند ..

الله يقول «إن مع العسر يسرا»، فما بال عينيك كلتاهما  
تقتلانني؟!!

امراة مثلك كثيرة جدا عليّ لأحبها مرة واحدة، لنتفق..  
ساحبك جزءا جزءا، ساحب عينيك أسبوعا، شعرك  
أسبوعا آخر، أطراف أصابعك أسبوعا ثالثا، ورابعاً  
لحديثك..

أما ضحككك سأحتاج عشرين عاما على الأقل لأكتفي  
منها..

اليوم افتقدتك وافتقد الحديث معك.

لماذا لم تأتِ إلى الجامعة؟

لا تقولي أننا قد شعبنا حديثا، أنا لا أشبع منك، حديثني  
عن أنفه تفاصيلك، وسأصغي إليك بكل اهتمام كما لا أهتم  
بأهم الأمور في الدنيا، أنا مستعد للاستماع لثر ثرتك لو كنت  
طويل جدا، لكن لا تتوقفي عن الحديث بتاتا.

حديثني عن أحمر شفاهك الذي قد تلف في الصباح،  
واحتجت إلى أكثر من عشر دقائق كي تصلحيه، وكيف

منك تطلب منك غسل الصحن عند منتصف الليل، وكيف  
نك تحبين الاستحمام بالماء البارد، وكيف أنك تبقيين  
شبابك مفتوحاً قبل النوم حتى لا تفوتك فرحة الانتصار  
إن حدثت بين ليلة وضحاها، قولي لي كيف تبدين بقراءة  
الكتاب من نهايته فإن أعجبتك النهاية قرأتى الكتاب،  
وكيف أنك تبقيين لساعاتٍ طويلةٍ تحقّقين إلى أسفل الخزانة  
خوفاً من أن يكون أحدٌ هناك، كيف تحبين الركض في  
الشارع، وكيف تلعبين بخصلات شعرك وأنت تحدثيني،  
وأنت تحبين الفراول ولا تحبين العنب، وأنت تحبين اللون  
الأبيض لا الأسود، والأزرق لا الأخضر، وكيف تعجبك  
القصص الطويلة.. لا يهم أي المواضيع تختارين، حتى  
ولو كان حديثنا عن التصحر أو التمدد العمراني..

انهم أن أبقى لساعاتٍ طويلةٍ أستمع إلى صوتك.

صديقي معاذ

هناك أشياء تحدث،

وما عاد باستطاعتي تدارك الأمر،

كن بخير واعتن بنفسك جيداً ..

وكانت تلك آخر رسالة قد وصلت منها..

نحن لا نرى الأشياء دائما على حقيقتها، نحن نرى ما  
تريه لنا الأشياء..



لم أعرف السبب الذي جعل الباب يغلق وقتها،  
لكنه أغلق..

- أنهيت اثنين وعشرين سنة أم هي من أنهتك؟

- لقد انتهينا مع بعضنا البعض.

- لقد كبرت بسرعة، أسرع مما كانت تتصور أنك

ستفعل.. كيف كان بإمكانك السقوط أكثر وأكثر وانت

في القاع؟ قاع كل شيء، ذلك القاع الذي ليس فيه

أحد سواك، حتى ذلك في نهاية الأمر تركك، وهنا

تكنم الفكرة أصلاً، في النور وتحت الشمس يكون

الجميع معك، في الظلام والتعاسة حتى ذلك يتركك..

صمت لفترة طويلة قبل أن يكمل:

- ألم يحزن عليك أن تعترف لنفسك؟

- لقد أعدت الإتصال بها ثلاث وعشرين مرة، إنها

باختصار لا تريد أن تجيب..

- إنها تجيب، أنا متأكد من الأمر، لكن خطأ ما في

شبكة الإتصال يحدث..

- متى وصلت هنا؟

- أكنت في مكان آخر من قبل؟ غير هذا القاع؟

والذين كانوا من حولك؟  
كنت أنا حولهم، لا هم حولي ولا حول لي ولا قوة إلا  
بالله..

لا بهم، لقد كنتم مع بعضكم.  
كنا بجانب بعضنا..

عندما تقف على مفترق بثلاث طرق مختلفة، فإن  
أفضل قرار قد تتخذه هو أن تمشي في طريقٍ قليلاً ثم  
تجرب الأخرى ثم الثالثة.. لأنك في نهاية الأمر ستجد  
أنك قد عدت مكانك..

- سبقي على قيد الحياة على الأقل.

- إذا اعتبرت هذه حياةً نعم..

- لقد كنا مناسبين لبعضنا جداً..

- لكنها لا تحبك..

- بل تفعل..

- لو كانت تفعل، لكنت الآن تحادثها، لا تحادثني عنها..

قلت لك من قبل، عليك أن تعرف طريقك، وعليك أن

تعرف عدوك.. الا زلت قوياً كما كنت؟

لست أعرف أما زلت قوياً أم لا، لكنني أعرف أنني

لست كما كنت..

ثم سألته أنا:

- كم مضى من الوقت؟

- ما يكفي لنسيانها..

- ما يكفي.. لكن يبدو أنه لم يفعل..

## الفصل السادس

### القيامة

مصير الكتاب في نهاية الأمر، أن يكتبوا عن الحب، لا  
أن يعيشوه..

2016/10/4 معتقل:

تم إرسال ورقة استدعاء لي منذ عدة أيام، واليوم ها أنا هنا، جالسا على كرسي، وقد وضعت يدي على الطاولة، وفكرت لمراتٍ كثيرة عن السبب الذي جعلهم يرسلون استدعاء لي، إلى أن أتى..

كان ضخم البنية وقد تبسم حينما رأني وكأنه يعرفني من قبل، وكنت أظنني قد رأيتَه سابقاً..

- إيش تشرب؟ أو لا.. أنا بعرف إيش بتشرب.

وقد نادى علي أحدهم وقال له « أحمد، كاستين عصير غيب» وكان ذلك إشارة منه إلى أنه يعرفني وجيدا..  
جلس على الكرسي، وأشعل سيجارة وأمد سيجارة لي فخاطبته:

ما بدخنش..

- تمام، مش ضروري.. كيفك؟

- الحمد لله، بس ضايل أعرف ليش أنا هون..

- آخرتك بتعرف ليش انت هون..

- معاذ جهاد ، اثنين وعشرين سنة

- ما كملتهمش لسا..

حقك علينا.. معاذ جهاد 1995 /5/26

صنفتي إنك مخطي كثير بس تمام..

بتدرس هندسة، جامعة بيرزيت، بتكتب، نشرت

رواية من قبل، حققت نجاح كثير منيح، ورح تنشر

رواية جديدة عن قريب، مشهور إلى حد ما..

ما جبت إشي جديد برضو..

إيش انتماءك السياسي؟

ما في إلي انتماء سياسي..

إيش انتخبت بانتخابات بيرزيت الأخيرة؟

أعتقد إن من حقي إني ما أجاب على هاد السؤال..

إيش؟

لأنه ما بخصك كثير..

حلو.. ولسانك طويل كمان.. ما حكوليش هاد الإشي

ممكن أعرف أنا ليش هون؟

تحولت فلوس إلك من تونس، الجزائر، الأردن

ولبنان.. مع أي تنظيم بتتعامل؟

أعتقد إنك عارف إن هدول الفلوس من الرواية..

والتحويل كان من دور نشر..

بس الناس بتعرفش هيك والمخابرات بتعرفش هيك..

ما فهمت..

- نزلت على حاجز بيت إيل قبل فترة.. كنت تروح  
تنشر في الرواية هناك؟  
- اه لأنه في كثير ناس بكونوا هناك..

وضحكت.. وقهقه كثيرا قبل أن يطرق بيده الطاولة  
ويقول:

- معاذ، عليك نقاط كثير، نزولات على بيت إيل، فلوس  
محولة من دول ثانية، خروج ودخول على الأردن  
لمرات كثيرة، ولسان طويل مش مخلي حدا من شره  
في أول سنتين في الجامعة.. بس كل هاد بهمنيش..  
- والا إيش إلي بهمك؟  
- نهاوند.. سمعت بالإسم..

وقتها أحسست أن شينا أكثر غرابة يحدث.. حاولت  
الإنكار لكنني كنت أدرك أنه يعرف الأمر..  
مالها؟

- خطيبتي.. ما خطبناش رسمياً، بس كل إشي واضح،  
من ثلاث سنين متفقين على الموضوع.. وبعد كل هاد  
تيجي إنت تخربه.. مش رح أسمحك..  
- جاييني هون عشان تحكي هالكلمتين؟  
- كان ضروري.. بديش أسمع كلمة عنها، البننت رح

- تنخطب وبعتر موضوعك خلص معها
- بس هي ما بدهاش إياك..
- بدها إيانى ما بدهاش إيانى.. ابعدها عنها، تمام؟
- لا مش تمام..

اخذ نفساً ثم أطفأ سيجارته جانباً..

\*\*\*

كنت قد ضربت من شخصين آخرين حتى وصل بهم الأمر إلى ضربى على مناطق حساسة في جسدى، استمر الضرب لما يزيد عن ساعة، وبعدها علقته من جسدى وقوفاً بالسقف.. وظلوا يرشقون على الماء لمرات كثيرة، وكنت أفكر بالأمر..

كنت اضرب لأمر شخصية..



- معاذ جهاد.. احسن هلا؟

لم أجب، وكان قد أشعل سيجارة أخرى ووضع قدماً على الأخرى بينما كنت أنا أحوال إغماض عيني لأريحهما قليلاً..

وقد أزاح الكرسي ووقف ودار من حولي

إحنا عارفين كل إشي..

كل إشي؟ كل إشي عن إيش؟

استنشق شيئاً من دخان سيجارته، ووضع السيجارة جانباً ثم أكمل..

- إحنا عارفين كل إشي يا محمد..

- إيش؟

- كيف حال أبوك؟

- منيح الحمد لله..

- والدكانة تاعته منيحة؟ أخوتك الستة مناح؟

وقتها كان لا فرار لي، فقد بان أنه يعلم القصة كاملة..

- قلنك بحاول أساعدك، وحاولت ما الجالهاد الأسلوب..

بس انت اضطررتني

- كيف عرفت؟

- تنساش إني مخابرات يا عزيزي.. معاذ كان مراقب حتى من قبل صحبته مع خطيبتى، بتعرفه كثير حكى وهدي مرة وحدة وكان عليه كثير قصص .. وبعدها اجيبت انت وكنا عارفين بكل إشي بصير بينكم.. بالأول حكيت طيش شباب و بمضي.. بس انت زودتها.. طلعات جايات.. زودتها كثير..

- ممكن افهم ليه كايينين تراقبوا بمعاذ؟ كثير مزعجكم؟  
- الهاديين كثير بوجعوا الراس لما يحكو وهو هيك كان..

- ايش بدك؟

- ما بديش إشي.. فكر باللي حكيتك إياه من قبل، واعتبر هاي قرصة دان، واتذكر عيلتك وسمعتك ايش ممكن بصير فيها، تمام يا .. معاذ؟

- مش تمام برضو.. بتعرف إن فش حد رح يصدق هاي القصة..

- مش مهم الناس تصدق، أعتقد المهم إن نهاوند تصدق حاول اقنعها يبقى..

وضحكت.. حينها قهقه هو وقال:

- اعتقد إنها صدقت وهي بتسمع كل إشي بصير هون..

\*\*\*

بدأت المشاكل مع والدي حينما خرجت من هناك، وقتها لم يصدقاً بأن الرواية التي كنت قد نشرتها هي السبب، وظلا يحاولان التشكيك فيّ وأنا فيّ قد اقترفت أمراً خاطئاً

بعد عدة أيام بدأت الإشاعات تلاحقني في الجامعة، إشاعات كثيرة لا أعرف من أين كانت تولد، علاقات مع نساء لا أعرفهن، أموال مشبوهة، والكثير..

وطردت من الجامعة عقاباً على علاماتي المتدنية..

وحاولت الإتصال بها لمرات كثيرة لكنها لم تكن تجب، وظللت أحاول عبثاً.. وإني كنت وقتها قد أدمنتها تماماً، وما كنت أعرف كيف أنها قد رمت بي بوادٍ غير ذي زرع، عند قلبها المقدس، وحيداً وقد تركتني دون أن تلتفت، ودون أن يأمر الله بذلك. وإني طفت بين عينيها سبعا، وإني زمزمت عليها تحن علي من صحراء. هي الأرض دونها، لكن القلب ما أنجب وما أخرجت ماء

بمقي عطشي، ولا حباً يقيني الجوع والمنفى..

ظللت لأيامٍ طويلةٍ أحاول الإتصال بها..

بعد عدة أسابيع، على أحد المفارق صانفتها ولحقت بها..

- نهاوند.. اسمعيني بس شوي..

- معاذ.. أو أه .. نسيت إن اسمك مش معاذ طلع، ابعده

من حياتي لو سمحت

ثم ذهبت وأنا أحاول أن ألمم الكلمات من الطريق

محاولاً الاجابة..

\*\*\*

بعد عدة أيام..

كنت قد تلقت اتصالاً هاتفياً من أحدٍ لا أعرفه..  
منتظراً في أحد المقاهي التي كنا قد اتفقنا ان نلتقي فيها  
كنت حينما أتى وقد اتخذ من كرسي. مجلساً له.

- معاذ جهاد، كان نفسي من زمان أقعد معك، بس هاي

هي الدنيا

- ما عرفتنيش عن حالك؟

( وقد كان وجهه يبدو مألوفاً).

- مش مهم.. جايبك بكلمتين ورد غطاهم.. غلطت معها؟

مين؟

- انت عارف مين، لازم أحذرك، وبتمنى ما تكون

غلطت غلطي وبصير فيك زي ما صار في..

بعد عدة أيام، بدأت تلك الأفكار تجول في ذهني، أشياء كثيرة بدأت بالتلاقي لتكوين خيوط لأشياء فوضوية تجعلني أتوه في نفسي..

فكرت لو هلة في كل شيء ولملمت فتاته..

في بادئ الأمر، تذكرت تلك اللحظة التي صرخت فيه نهاوند يوماً وقالت «محمد» ثم تحجبت بعدها بأنها كنت تقصد آخر، أكانت تعرفني من قبل؟!!

والمرة الواحدة التي شاركت فيها بالمظاهرات في بيت ايل، لم يكن يعرف أحدهم نيتي للخروج، بل وإنني خرجت مثلثا من رام الله، لم يعرف أحدهم عن الأمر شيئاً سواها.. نهاوند..

ومن ذا يمكنه أن يلاحق أصغر تفاصيل يومي جميعها؟ من بإمكانه أن يفرغ كل حياته لمتابعة حياتي الفارغة بتفاصيلها؟ وأنا الذي لم يرافقني في الفترة الأخيرة سوى نهاوند..

وكيف عرف عن نيتي لنشر رواية أخرى، إذ أنني لم أخبر أحدهم سواها.. نهاوند..

واقسم أنني قد رأيت وجهه من قبل..

أقسم بذلك ولكن أين؟

في اليوم الثاني، بحثت عنها في أرجاء الجامعة، في كل شبر منها، ولم أجدها.. ثم بدأت أفكار أخرى تتسرب في «ربما هي لست طالبة في الجامعة أصلاً»..

بدأت الشكوك تتراكم شيئاً فشيئاً في منحنيات عقلي، كل شك يحاول أن يكون هو أكبر إخوته..

يومها استطعت يومها بوساطة صديق لي، معرفة أن لا طالبة في الجامعة في هذا الفصل اسمها نهاوند.. ولكن، ربما كانت في الفصول الأخرى – شككت في نفسي...

\*\*\*

بعد يومين، وعندما صحوت من نومي، تذكرت ذلك الوجه الذي حقق معي، «لقد رأيته من قبل، كنت أعرف» صرخت..

متجها إلى مركز المخبرات ذاك، ودون أن أصعد العمارة تلك، وقفت أمام الساحة الأمامية التي امتلأت بالسيارات، مطلقاً عيني بحثاً عنها، وكانت تحاول أن تنكمش على نفسها هاربة مني..

جيب زرقاء لن تخفى علي -كيف يمكن أن تخفى سيارة  
على مصلح سيارات؟ ووجدتها..

وظللت مسنداً ظهري إلى حائط قريب منتظراً إياه أن  
يهبط من مكتبه، ويستقل السيارة تلك..

ظللت أنتظر لما يزيد عن ثلاث ساعات.. إلى أن نزل  
وصديق له واستقلا السيارة تلك، وضحكت ملء فاهي  
وكنت أعرف..

جيب زرقاء هي من قتلت معاذ أمام عيني وأمام المفرق  
ذاك..

وكانت الأمور تتضح أكثر وأكثر، وكلما اتضحت تشوشت  
أنا..

إذاً لم يكن حادث سير بتاتا، كان الأمر مخططاً.. لقد  
أرادوا قتله بسبق الإصرار والترصد، وقتلوه شاباً فقيراً  
دون أن يعرف أحد، وتركوا على هذه الدنيا غيره باسمه،  
ولكن لن يضرهم شيئاً..

ثم عدت إلى الأمر من بدايته، كيف عرف أبوها عن اسم  
معاذ حينما دخل المشفى ذاك؟ وكانت ابنته قد أصيبت؟



### الأمور أكثر وضوحاً..

وقعت هي ارضاء، وأسعفها هو وصديق له، جاء والدها ونادى باسمه، وقد كان يعرفه من قبل، بعد فترة حادثته لتلتقي به، وتلاقيا وأصبحا صديقين، وأصبحت تعرف كل شيء عنه، كل شيء عرفته هي كانت المخبرات تعرفه.. ثم افترقا بعد أن كسر قلبه..

التقى بي واتفقنا على ما اتفقنا عليه، وكانت تلك الفرصة المثالية لقتله دون أي ضجيج قد يحدث.. قتله هو بسيارته الزرقاء تلك وأكملت أنا حياته..

وعانت هي بعد توقيع الرواية تلك، لتتأكد أن كل الأمور تسير على ما يرام، وأنني لن أسير على إثره..

ثم ماذا؟ ثم يقررون الإفصاح بأنهم يعرفون أمري، لتنتهي القصة وتخرج هي بكل هدوء من حياتي، كالشعرة من العجين.. وأكمل الحياة ولا شيء يحدث..

أعدت القصة مرارا وتكرارا، «ولكن لماذا أرادوا قتله؟!» فكرت.. ربما لأنه أدرك ما أدركت للتو؟!!

ربما كان علي على حق، محاولة إسقاط كاتب ناشئ، لكنه

كان أنكى من ذلك بقليل، وأضعف من عينيها، وأدرك كل شيء.

ربما يكون ذلك الشيء هو الأمر الذي حاول إخفائه عني؟! لقد كان يعرف أن نهاوند لم تدخل حياته لصدفة بل دخلت لغاية هي في نفسها..

إذا، كان يدرك الأمر ولم يكن بيده ما يفعل، كانوا يعرفون عنه كل شيء أفصح لها، وحاول الخروج من الأمر ونفمي أنا نحوه محاولا الهرب منهم لينجو ويستطيع كئفه بطريقة ما.. لكنهم قتلوه ..

وفكرت، وإن لم يكن قتله مجرد صدفة، فلماذا باهي من

قتله؟ لماذا لم يكلف أحدهم بفعل الأمر؟!

بعض الأسئلة كانت تحتاج إلى إجابة..

من يستطيع المساعدة؟ شخص واحد فقط..

في أحد المحلات التجارية كان يعمل منذ برهة، وكنت أعلم ذلك من صديق له. دخلت المحل ذاك ونظرت إليه.. واضعاً أحد القمصان جانباً، وقد بدت عليه علامات الغضب متوجهاً إلي صارخاً..

- لو سمحت اطلع من المحل

- علي لازم نحكي ..

- معاذ، سببتلي مشاكل بما فيه الكفاية..

- فهمني إيش في؟

- ماسكين علينا كثير.. كثير يا معاذ.. قلتك!

- السلطة؟

- غبي، السلطة إيش بدها فيك؟!

كانت الأمور تتعقدت أكثر وأكثر، وأنا لا أزال أحاول السيطرة، كان لا بد في هذه اللحظة أن أستعين بالشخص الذي ساعدني منذ البدء وأبوح له بأنني اكتشفت أمر نهاوند.. ينال..

في أحد المقاهي التفتت به.

كان قد جلس يستمع إلي عندما بدأت بشرح الأمر له..

- كنت عند المخبرات قبل أكنم يوم..

- طيب؟

- سألوني عن كثير أشياء، عن نهاوند وعن معاذ وعن

- علاقتنا وعن كل إشي..

- إيش في معاذ؟ احكي..

- أول ما كعدت بدوا يحققوا معي، حاولوا يفهموني إنهم

عارفين كل إشي، اسم امي، تاريخ ميلادي، وحكولي

إنهم عارفين إني مش معاذ، وعارفين كل إشي صار

من قبل..

وقد قهقه كثيرا قبل أن يرن هاتفني وأجيب عليه لبضع

دقائق، قبل أن أسأله بعد أن نسيت نقطة حديثنا..

- وين وصلنا؟  
- عند لما كانوا يحاولوا يفهموك إنهم عارفين كل إشي،  
اسمك واسم امك.. وعارفين كل إشي، وجابولك عصير  
عنب، وعلاقتك بنهاوند..  
- اه.. بالزبط..

- طيب؟  
- قررت أبعد عن نهاوند.. مش ناقصني مشاكل ووجع  
راس.. كان لازم أرد على معاذ من الأول..  
- بس هيك؟ ما في إشي ثاني؟  
- بس هيك، شو بدو يكون في يعني؟!!

\*\*\*

« ماسكين علينا كثير.. كثير يا معاذ.. قللتك»، « عارفين  
كل إشي، وجابولك عصير عنب»، « غبي، السلطة إيش  
بدها فيك؟!»، « أنا يعرف سرها»..

كانت الأشياء تتشتت أكثر وأكثر ثم تعود للتلاقي وسط  
ذهول مطلق..

إذا، ربما يكون الأمر أكبر من السلطة، ربما تكون محاولة  
إسقاط ولهذا بالذات كان باهي من قتله لا أحد آخر، ربما

يكون على علاقة مع جهات أخرى..

إذاً، فكل تلك الثورية التي كانت تزرعها على عينيها كانت تخفي وراءها شيئاً، كانت تحاول خداعك بكونها عاشقة للوطن في الوقت الذي كانت فيه هي أمد أعدائه؟! كثيرون من يفعلون ذلك، كثيرون من يستترون بعباءة الوطن نهاراً ويبيعونه ليلاً..

ولكن السؤال الذي اجتاحني فجأة، كيف استطاعوا مراقبة كل الأمور التي تحدث، كيف عرفوا أنني ومعاذ فمنا بالأمر فعلاً في تلك الليلة بالذات، مع أنه لم يكن قد سمع حديثنا أحد!!

لكن، ربما أحدهم قد سمع حديثنا! ربما كانوا يتجسسون عليه فعلاً! ولكن، كيف لهم أن يتبعوه حتى في داخل بيته وقد كنا اثنين فقط، أنا وهو؟!!

فكرت في الأمر لما يزيد عن ساعة قبل أن أضع يدي اليمنى على على صدري متحسباً وجه البندقية التي كانت تحضنه..

وضحكت كثيراً قبل أن أصرخ .. «سنسال نهاوند».

ظللت اضحك لمدة طويلة على الأمر قبل ان افكر  
بالأمر الأكثر غرابة.. كيف عرف ينال أنهم قد أحضروا  
لي كأساً من عصير العنب دون ان أقول له!؟

ت..

كنت احتاج إلى بضع دقائق أخرى كي تغفو عيني  
تفلق أمي الباب قبل أن أحذرها، ويأتي هو..

- امحتاج أنت لأكثر من هذا الضجيج الذي بداخلك يا  
ابن الهدوء؟ وأنت الذي قد تأخرت ست سنوات كاملة  
لتعرف نطق كل الأحرف، ما فائدة الأحرف كلها التي  
قد تعلمتها الآن، في الوقت الذي يصبح فيه أن تبلع  
لسانك هو أبلغ عملٍ قد تقوم فيه الآن؟!... من قبل،  
في السابق، عندما كنت حيوانا منويا، كنت سعيدا جدا  
لأنك قوي، أقوى بكثير من جميع الذين رافقوك في  
تلك الرحلة، ووحده أنت من استطعت أن تنجو، وماذا  
الآن؟ أتحسد الذين ماتوا على الموت كما يحسدونك  
هم على الحياة؟ أكسرتك الحياة؟ أتعبت؟ لم يكن هذا  
الأمر سوى البادئة فقط.. هذه أولى اثنين وعشرين سنة  
في حياتك، وصرت تلعبها؟! تحقد عليها؟ لم تر شيئا  
بعد، كل ما حدث كان درسا تجريبيا لما سيحدث  
تباعا، قلت لك، تريد أن تغادر غادر الآن، انتحر، في  
كل الحالات إذا انتحرت في سن العشرين أو الخمسين  
سيبقى الأمر انتحارا، إما أن تقرر أن تنهي الطريق



الآن وتقف وتنتظر الصحراء والحر أن يقتلائك أو أن تكون أقوى من الطريق والصحراء والحر.. وكيف حالك أنت؟ أليس يكفي؟ الوجد الذي بداخلك وجع مدينة كاملة مبنية على أساساتٍ من خشب، وأحرقته، وكلما أحرقته أطفأتها أنت، ولا زالت واقفة على شفا حفرة من جهنم، أساساتها بالية، هشّة، قد تسقط في أية لحظة .. وماذا فعلت في آخر فترة ؟

- المزيد من التكرار، تكرار لأشياء كثيرة كنت أخالني للحظة أفعالها لأول مرة..

- قلتَ بأنك قادرٌ على تحرير العالم لو غيرت حالك والآن؟

- حاولت أن أحرره، فسجنت نفسي  
- وماذا الآن؟

- هذا السؤال الذي أطرحه على نفسي في كل ثانية في آخر ستة أيام؟ ماذا الآن؟ ساكمل؟ ماذا أريد وماذا لا أريد؟ المشكلة في الحروب، بعد فترة لا تصبح الغاية أن تقتصر أو تحرر البلاد بأكملها أو تثبت مبادئك، الغاية تصبح أن تبقى على قيد الحياة فقط، أن تكمل أكثر وقت ممكن كي لا تسمع أحدهم يوماً يقول أنك انهزمت، الغريب في الأمر، أنك إذا ما انهزمت ستكون

ميت ولن تسمع أحدهم يقول أنك انهزمت..  
- لقد جاء الخريف

- نحن في اكتوبر عزيزي!

- أقصد ..خريفك أنت، ألا ترى نفسك تتساقط أكثر  
وأكثر؟ هذه دورة الحياة ربما، أن تصل القمة وتهبط  
مليون قاع، وأن تبتمس يوماً وتغضب عشرين.. لكنك  
ربما استمررت بالتساقط لأربع أشهر ولم تحاول ان  
تنمو مجدداً..

- ماذا كان من المفروض أن أفعل؟

- حذرتك من قبل، قلت لك، الحياة تعطيك لتأخذ منك  
ليس أكثر، لا تأخذ منها شيئاً هو ليس لك، كن أنت  
انت..

- وماذا سنستفيد إذا لم نأخذ شيئاً؟

- وقتها لن نخسره.

- أنتوقع؟

- وماذا تفعل الآن أنت غير التوقع؟

- لا شيء.. مجرد لا شيء آخر..

- سيطول الأمر؟

- عن ماذا تقصد؟

- أقصد عنك وعن داخلك؟ الصراع الذي بينكما، متى

ستتسجمان؟  
- المشكلة أن المكان الذي لا تجد فيه نفسك، لن تجد فيه  
شيئاً..

\*\*

حاولت مراراً وتكراراً الوصول إليها بعدها لأوضح  
الأمر لِنفسي، ولأفهم كل شيء، لكنها كانت قد أغلقت كل  
طريق يوصلني إليها. هاتفها مغلق دائماً، مواقع التواصل  
الغيت جميعها، لم أعد أراها مصادفةً بتاتاً، وكلما سألت  
إحدى صديقاتها عنها أجابت بأنها لا تعرف شيئاً عنها،  
كانت قد اختفت تماماً، وكأن الأرض ابتلعتها..

لقد كانت علاقتنا عبارة عن أنصاف أشياء تحدث،  
نصف تأتين ونصف تذهبين، نلتقي لنصف ساعة، نجلس  
متباعدتين بنصف متر، نأكلين نصف شطيرة وأشرب  
نصف كأس شاي، أمسك يدك إلى منتصف الأصابع،  
وفي حضرتك أخذ نفساً وأنسى إخراجهِ، والفيلم الذي  
خططنا مراراً لمشاهدته سوياً غادرنا قاعة السينما في  
منتصفهِ، وحتى عندما أردت الاعتراف بالحب في أول  
مرة قلت «أح..» ثم قطع الهاتف.. لم نفعل شيئاً كاملاً  
يوماً، فلماذا الآن تكملين غيابك؟!|

ربما شكوكي صادقة، ربما أنت حقاً كما وصفت « ابنة  
الشیطان» لكنني أحبك ولو كنت الشیطان نفسه.. ورغم  
كل الدلائل التي تجعلني أكرهك، إلا أن عیون الشیاطین  
ليست جميلة، أنا متأكد من الأمر..

2016/10/18

وجدت في حقيتي رسالة دون ذكر المرسل ولا التاريخ  
قيل فيها..

« لا أعرف من تكون، لا اسمك، لا اسم أبيك ولا أمك، لا  
اسم عائلتك، أين ولدت وأين عشت وكيف، لا أعرف من  
آية بيعة جنت، لا أعرف أصولك، ماذا كنت، ماذا عملت  
في السابق، كيف ولدت وكيف تربيته وكيف نشأت، لا  
أعرف آية تفصيلة. قد توضح الأمر، ولا أعرف أي شيء  
عندك، لكنني اعرف أنني أحبك .. أحبك كما لم أحب أحدا  
من قبل.. التفتيك غدا أينما اعتدنا أن نلتقي بعضنا، على  
الساعة الثالثة عصرا، لا تتأخر»..

وبعد كل تلك الافتراضات التي نضجت لتصبح حقائق مع  
الوقت بالنسبة لي، إلا أنني توجهت يومها إلى هناك، لأيام  
طويلة، ظلت أنتظر منذ الثالثة للرابعة وللخامسة أحيانا،  
استمر الأمر أسبوعين ولم تأت...

وكنت أراها كثيرا.. في كل الوجوه، وأكبر مشكلة كانت  
أن الجميع يشبهها مع أنها لم تكن تشبه أحدا، وهي امرأة  
كما جهنم تماما، لا يموت الإنسان فيها ولا يحيى..

الذين نجوا من حادث القطار، لم يكونوا أولئك الذين تشبثوا بالمقاعد جيدا، لم يكونوا أولئك الذين قفزوا إلى الأرض أو قفزوا من الشباك أثناء الحادث.. الذين نجوا كانوا أولئك الذين لم يركبوا القطار أصلا، أو الذين قفزوا منه عندما عرفوا في بداية الأمر أن المسير يزول إلى حادث لا فرار منه..

وانت، كان يمكن أن تقفز من القطار قبل أن يسرع، لكنك ظللت عليه واقفا وانت تعرف أن السكة تالفة، وأن المحرك به عطل، وأن الرحلة نهايتها حادث كبير سيقتل قلبك إن لم يقتلك. لكنك ظللت عليه واقفا تقول أن الحياة من شبك القطار تبدو أجمل، وأنت تعشق الهواء القادم من النافذة، أسعيد الان أنت؟!!

المشكلة التي تحدث، أننا ندرك الأمر جيدا، بحذافيره.. لكننا ولغاية لست أدركها، نقنع أنفسنا أن أمرا سينقذنا سيحدث نحن لا نعلمه. الغريب في الأمر، أن هذا الأمر لم يحدث لنا سابقا ولو لمرة..

الواقع ليس جميلاً بما يكفي، وأنت ضعيف ووحيد بما يكفي، ومن يرفعون أجنحتهم كثيراً، سيكسرها الزمن، ولقد كسر قلبي، ولقتل رجلٍ خيرٍ وأهون عند الله من كسر قلبه. وإن في قلبي من الخراب ما فيه، وإنه لأوهن من بيت عنكبوت، وإنه ما كان لقلبك أن يكسر لو أنه مارقٌ حياً.. والغياب، موجهٌ كثيراً، لذا.. إذا أردتم الذهاب فلا تأتوا أبداً..

الأيام تلك التي توقعت فيها على نفسي، خسرت فيها من الأصدقاء ما يكفي.. تسأليني كيف يتسرب الأصدقاء من قلبي واحداً تلو الآخر وأنت التي قد تقبته في بادئ الأمر؟! وإن شريان القلب الذي تعلق بك كثيراً، بعث في الحياة اللاحقة عود ناي..

المشكلة، أن الذين يتكئون عليك يريدونك قوياً هادناً بكل ضعف عودك وكل ضجيج قلبك. وماذا قد يحدث لهم إن انكسرت أنت وهم يستندون عليك؟ وقتها ستكون أنت السبب في سقوطهم، وسيلومونك على سقوطهم، وأنت الذي التوى ظهرك في محاولتك الصمود. ماذا لو قررت الشمس في يوم من الأيام أن لا تشرق؟ يوم واحد فقط.

ماذا لو قرر قلبك التوقف عن العمل فجأة هكذا..  
دون سابق إنذار..

لذا ارجوكم، لا تطلبوا مني أن أكون قويا دائما وأقول أنني سعيد وأنني بخير، أنا لست بخير. ضحكاتي مصطنعة جدا، وقوتي ليست سوى دراما. أنا فارغ من الداخل، محبط جدا، هش، ومريض إلى حد لا يوصف، أنا مجرد بلاستيك. لا أستطيع النوم لأكثر من أربع ساعات. بريق عيني زائف، مزاحي أحاول به إخفاء بحة الصوت في، يداي ترجفان كثيرا، لساني إلى اليوم - يتمرّد علي وأنا أحاول إخفاء تأتاته تلك، في قلبي من التجاعيد ما في بيت من مئة سنة من التشققات. أنا هادي من الخارج لكنني كالبحر، كم من سفينة غرقت فيه، كم من أسماك ماتت هناك، كم من طيور. ظلت بعيدة تحلق فيه، وتحلق فوقه وشرب منه، وتخشى الاقتراب أكثر، وكم من بحار. ظل لسنين عديدة يصارع أمواجه، عدى عن أولئك الذين فروا إليك ثم رأوا أن اليابس أكثر أمنا.. أكنت مخيف إلى كل تلك الدرجة ليتركوك ويهربوا إلى اليابس؟!  
وإنه سبحان الذي سواك حربا، كلما هزمت فيها انتصرت،  
وإنه سبحان الذي سوى قلبك أرضا، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك.



والغزاة- كل الغزاة- يفرون من جيوش ترميها بالحجارة  
في اخر المطاف، ولو طال بقاؤهم. كم من طفل، فيك  
جرب أن ينام؟ لكن سواد قلبك وضجيجه منعاه من النوم،  
يريدون النور والهدوء..

ويتكئون عليك؟! وأنت الذي هيهات لو تستطيع حمل ثقل  
نفسك، يستندون عليك دون أننى معرفة. منهم أن عمادك  
أعواد ثقاب. قد تشتعل في أية لحظة، فيك من القوة ما لا  
تكفيك ومن الضعف ما يكفي المدينة.

ويتكئون عليك؟! وأنت الضعيف إلى درجة اللامبالاة،  
انكسرت إلى الدرجة التي أصبحت عظامك غير قادرة  
على بناء نفسها مجددا، لديك من العقد النفسية ما يكفي  
لتصبح مشفى، ومن الجروح والاكتظاظ ما يكفي لكي  
تصبح مخيم، ومن الموتى في هذا القلب ما يكفيك لتصبح  
مقبرة.

عندما يسألونك عن انجازاتك في هذا العام، قل لهم أنك  
بقيت حيا رغم كل ما حدث..

السواد؟! يا ابن السواد. كم من سنة أخرى تحتاج لتقتنع  
أن كل ما وصلت إليه ما كان إلا سرايا.

لذا رجاء، لا تطلبوا مني أن أكون قويا دائما.

نحن بحاجة أحيانا لأن نسقط في الهاوية، وأن نصرخ  
ملاء فاهنا، أن نبكي ما استطعنا، أن نبالغ في البكاء، أن  
نتوحد على أنفسنا، أن نبصق في وجه هذا العالم، وأن  
نضعف بكل ما أوتينا من قوة..

منذ أشهر كثيرة، كلما كنت أتهدج في محراب الله داعياً إياه إياك، اعتاد الملاك تدوين اسمك في صحيفته ورفعها للرب مراراً وتكراراً.. نزل البارحة من على كتفي وأيقظني من النوم ودعاني لشرب فنجانين من القهوة لنجد حلاً للمشكلة، أقصد مشكلة تعلقه بك، فتعلقني أنا ليس له حل..

لما أن قلبت «أحبك»، رأيت التاريخ يعاد من نهايته حتى بداية التكوين، رأيت الحربين العالميتين تنتهيان ليعود القتلى إلى بيوتهم ويعود الجند ليعانقوا خصور زوجاتهم، الثورة الصناعية انتهت والفلاحون عادوا يجتمعون في الحقول، وعادت الأشياء كلها إلى بساطتها السابقة، وأنزل المسيح عن صليبه وعاد إلى حضن أمه..

ظلت الأشياء تعود وتعود حتى قد عدت آدم وكنيت حواء، وكنا وحيدين في الجنة.. لما رحبت، رأيت نفسي أنزل من الجنة مرة أخرى، وحدثت كل هذه المآسي مرات كثيرة.. كنا قد اعتدنا أن نمسك بيدي بعضنا كلما قطعنا المفرق ذلك. في إحدى المرات نسيت الأمر، وعندما وصلنا منتصف الشارع عدت أتراجي إلى الرصيف ملتقطاً يدها

التي ظلت تنتظر رجوعي.. قبل فترة، كررت الرجوع إلى الرصيف ثلاث. وعشرين مرة.. لكن لا يدا كانت تنتظرني هناك..

كالطريق وكالمسافر كنا، كنت أوصلك إلى ما كنت تريد، وكنت تدوسيني في كل خطوة..

نسيت إخبارك.. الأرجوحة التي قلت أنها ستستمر بالتأرجح ذهاباً وإياباً توقفت البارحة، سنسال ال(RBJ) الذي أهديتني إياه كسر، ورائحتك أختفت عن سترتي تلك، محل البالونات أغلق، وبلدية رام الله منعت بائع شعر العروس أن يبيع في الشوارع، وحتى العجوز التي شربنا الشاي على درج بيتها، تراكمت عليها الديون وباعت ذلك المنزل، وتعيش الآن في بيت العجزة..

وهذه الدنيا مبهمة إلى حد لا يطاق، فعندما يقول أحدهم بأنه يحبك، ذلك يعني أنه يحبك فقط ولا يعني بتاتا أنه يريدك بجانبه. إن قال بأنه يموت فيك، ذلك لا يعني بأنه يريد أن يعيش معك. إن كان الجو صافٍ ولا فرصة لتساقط الأمطار، قد تتساقط إن وقعت في الحب، والوقوع في الحب يشبه كثيراً الوقوع من حافة عمارة أثناء محاولتك اصطيد نجمة معلقة في السماء، المشكلة أن

الباب الذي دخلته يوماً لن تخرج منه، والأبواب الكثيرة تعلمك الوحدة، وإن كنت وحدك في مكان هادئ، ذلك لا يعني أن لا ضجيج في المكان، ضجيج قلبك يكفي، وحتى امتلاء المكان بالأكسجين لا يعني بالضرورة أنك لا تختنق، عليك أن تترك أنه حتى صور الإشعاع لا تكشف عن كامل انكساراتك، «وكيف يمكن أن تصبح كاتباً؟» ذلك سؤال وجيه.. اجعل امرأة تتلاعب بعواطفك..

قانون نيوتن في الجاذبية كاذب، لا شيء يمكن أن يظل مطموراً للأبد، في نهاية الأمر، كل الأشياء ستطفو على السطح، الأمور الأكثر ثقلاً ستطفو أولاً..

لم تكوني ضعيفة يوماً، كنت تحاولين جعلي أصدق أنك ضعيفة.. وكنت أحبك إلى تلك الدرجة التي جعلتني أصدق كل شيء.. وأنا مستعد لتصديقه مجدداً إن عدت، مستعد لتصديق كل كذباتك، مستعد لأن أحبك لمرات كثيرة وأن أكذب نفسي لأجلك..

في 2017/1/18 كانت قد وصلت الأخبار عن خطبة  
باهي ونهاوند

نهاوند تزوجت قبل توقيع هذه الرواية بثلاثة أشهر  
تقريباً

كنت قد جلست أعيد تذكر الأشياء كلها، من بداية القصة إلى نهايتها حينما طرقت أمي - أمه - الباب ..

- كل إشي تمام معاذ؟

- كل إشي تمام يما..

- تصبح عخير..

وقد ابتعدت عن الباب قليلاً قبل أن أخاطبها

- يما، سكري الباب لو سمحت ..

- أسكر الباب؟ دايمًا كنت تحكي لي ما أسكرش..

- المرة سكريه لو سمحت..

- متأكد؟

- متأكد..



## وقد أغلق الباب :

ما الفكرة من وجود ظلك في الوقت الذي لست موجوداً فيه؟ وما الفكرة من وجودك ما دام عدمك يغنى عنه؟ أكان يتوجب عليك أن تغرق أكثر وأكثر لتترك أن هذا هو البحر؟!!

في هذا الوقت الذي كنت تنتظر فيه من قبل- بكامل أناةك- أحدا ليقول لك أن الأمر قد مرّ بخير، أنت الآن لا تحتاج أحدهم ليقنعك بذلك، لأنك مقتنعٌ تماماً أن الأمر قد مر - كيف ما مر- ولكن ليس بخير.. وفي الوقت الذي كنت تنتظر فيه الضجيج يومياً، الآن لا تنتظر شيئاً غير الهدوء، الهدوء التام ما بعد ضجيج تلك المرحلة..

في هذه السنة، ولدت من جديد من محرقتك، وصرت أقوى وأقوى.. ولكن يتوجب عليك الآن أن تعترف أنك قد حضرت المحرقة في نهايتها لتحرق نفسك من جديد..

سنة كاملة كانت مليئة، لقد بقيت حياً ولكن وكى لا اكنب عليك يتوجب علي قول ذلك .. لقد تركوك على قيد الحياة لأنك لم تسبب إزعاجاً لهم، اعتبروك نسخة مقلدة، زائفة، وردنية، وجودها يشبه عنمها، صورة لإنسان فقط، بسيط إلى الحد الذي قد تتفكك فيه بسهولة، تركوك للحياة لأنهم

أدركوا أنك دون أدنى تأثير، ولا يريدون إيجاع رؤوسهم  
بقتلك، أيزعجهم وجود كاتب مثلاً؟! لا .. بتتأ، إنما  
يزعجهم وجود من يزعجهم، يزعجهم من لا يسير مع  
القطيع، وأنت لا تزعجهم.. لذا قد بقيت حياً. وكم هم الذين  
يفني غيابهم عن وجودهم ولا فرق بين وجودهم وغيابهم!

كم منا لا الحياة تعنيه ولا هي الحياة تعنى بها! من حق من  
أن يعيش؟ أحق هو للجميع؟ كم من أناس يعيشون على  
شبه المستديرة بأشبه حياة؟! أبت تترك الآن أن الحياة لا  
تسير هكذا وأن أيدٍ خفية هي من تحرك كل شيء؟!!

وانك- بكل ثقلك- محض نمية بأيديهم، أراض الآن أنت  
أن تبقى - جملة معترضة قد تحذف ولا تنقص للنص  
معنى؟! - هكذا، وماذا الآن؟ أتريد إقناعي بأن هذا الهدوء  
هدوء ما قبل العاصفة؟ وأنت الذي قد رميت كل ثلوجك  
قبل أن يأتي الشتاء؟ ماذا قد حضرت للشتاء القادم؟ لننتفق..  
إما ان تكون الريح أو تبحث عن أقرب مدفأة، وتجلس  
هادئاً منتظراً العاصفة أن تنتهي؟

منذ متى كنت أنت شيئاً غير العاصفة؟! عشرون عاماً  
قبلاً؟ لا يهم.. تلك أيام خالية، وأنت الشتاء الذي ينتظره  
الجميع.. أتعبت وأنت الذي تنكسر الشواطئ على عيونك  
ولا تنكسر أنت؟! قلت لك منذ البداية، إذا أردت أن تنكسر

فانكسر في بداية الأمر، لم تسمع كلامي بتاتا، ظللت تنتظر حتى اشدت ساعدك وقوي عودك، واصطدمت بجدار قوي، حطمته.. لكن، يتوجب عليك الآن أن تعترف لنفسك، ما هو الشيء الذي قد حطم في نهاية الأمر؟ الجدار أم عظمك؟

قلت لك في آخر مرة، رأيتك فيها، لا تتعلق بشيء، بفكرة، بشخص، بمكان، أو زمان.. لا تتعلق. قلت لك تجرد من كل شيء وتعري من كل الأشياء عداك. لكنك كبرت وقلت أن هذه آخر مرة، آخر مرة، آخر مرة، آخر مرة.. وفي الوقت الذي احتل فيه العالم، أنت غير قادر حتى على أن تحدد من هو عدوك، وماذا تريد أن تكون أنت؟ ولم؟ ومتى؟

- سنرجع إلى ذلك الأمر؟

- يتوجب علينا التقدم في البداية ثم سنجرع.. ولكن، وما الفائدة إن كنا نعيش في نهاية الأمر في دائرة مغلقة؟!  
- اتعرف ذلك الإحساس عندما تحاول أن تكون مختلفا، وأن تخرج من الدائرة التي يعيشها الآخرون، وأن تبذل قصارى جهدك لتفعل هذا الأمر، وبعد فترة يتضح لك أن كل ما فعلته أنك قد حولت صورة الدائرة إلى مربع،

وظللت عاكفاً بداخله، وحيد، منعزل، مغلق، ومكسور  
كثيراً؟

- هل ما زلت على قيد الحب؟

- ربما.. وربما لا..

- لقد سمي وقوعاً في الحب، وتستغرب لماذا انكسرت

بعده؟!.. صدقني، الشخص الوحيد القادر على

جعل حياتك مختلفة هو أنت، ابتعد عن الحب والصدقة

وأمن الحياة..

وإنني وإذ أنهى هذه الرواية، فإبني أضع الحد لكل شيء،  
 ذلك الحد الفاصل بين الشك والإيمان، والحب والكراهية،  
 والحد لأن تكمل قصتنا..

ربما تكون كل هذه التفاصيل محض وهم قد وقعت  
 فيه، ربما تكون الصدفة كبيرة جداً، وأكون أنا - في  
 نهاية المطاف - المنذب، وتكونين أنت ملاكاً أسقط من  
 الجنة، ربما تكونين نقيّة إلى الحد الذي تلوثت فيه مازك  
 بالافتراضات الكثيرة، ربما لك يكن ذنبك أن كان والدك  
 والدك، وربما لم يتعمدوا قتله، ربما عرف اسم معاذ في  
 المشفى من أحد المرضى، ربما التقيت به صدفة، ربما  
 عدت بعد الاستيقاق إلي، وربما لم تكذبي علي ولو بكلمة،  
 ربما تكونين أحببتي بصدق .. لكن، في نهاية الأمر، هذا  
 هو الحب يا صغيرتي، عليك إكماله، وإن جعله ناقصاً  
 أكبر جرم. قد ترتكبيه.. ورحم الله امرئ ما كان قلبه على  
 قدر الحب، فأوقفه عند حده. وإنه من كان قلبه هش، فلا  
 يرمي قلوب الناس بالحب..

كان يمكن أن لا تكتب هذه التفاصيل هكذا، كان يمكن  
 أن تكون النهاية مختلفة تماماً، إلا أن الحياة في نهاية

المطاف ليست وردية بتاتا، وإنما كل ما حاولنا إصلاحها  
تعقدت أكثر وأكثر وأكثر.. وأنت جميلة جدا إلى حد  
لا يطاق، وأنا مخذول إلى حد لا يطاق، ونحن الاثنان  
ضعيفان، وسنبقى ندور في دائرة إلى ما لانهاية في هذا  
الزحام..

كم تمنيت وأنا أكتب هذه الرواية - روايتك - أن لا أنشرها  
على الملأ أبداً، وأن أبقى محتفظاً بها لك، إلى ذلك اليوم  
الذي تجلسين فيه وتتكنين فيه على كتفي وترددين ثلاثاً  
« إقرأ، إقرأ، إقرأ » فأحضنك، وتدثريني أنت بشعرك،  
واقرا وأنا ألعب بخصلاته واحدة واحدة..

كم تمنيت لو تكون هذه الرواية روايتك وحدك، وكم تمنيت  
لو أكون كاتباً لك فقط، كلما أعجبتك جملة كافأيني بقبلة  
أو كلمة « أحبك »، لكنبت وقتها أدباً لم يكتبه دويسفيسكي  
حتى..

ستقرنين هذه الرواية وحدك، وأنت مستلقية على السرير،  
ستبكين كثيراً، ستتذكرين أصغر التفاصيل التي حدثت،  
ثم في نهاية الأمر ستغلقين الكتاب.. وتكملين حياتك..

أما أنا.. سأبقى كالجرذ أتفوق في حزني، كلما كبرت

ضاق المكان بهي، أتلقى رسائل المعجبين، وأبصق على  
نفسي وعلى كل ما حدث..

هذا الشخص الذي لم تكتمل مشاعره يوماً، لم تكتمل  
قصة حبه.. كيف بإمكانه إكمال نص؟!  
الأمر انتهى.



إضافة:

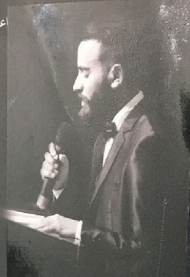
طرق إسقاط الشباب الفلسطيني في الاونة الأخيرة تعددت وكثرت، في بعض الأحيان تكون الأسماء عشوائية، في أحيان أخرى ينتقون فريستهم، لا يهمهم الفترة الزمنية بتاتا، بقدر ما تهتمهم النتيجة، في بعض الأحيان تنجح الأمور معهم، أحيانا أخرى يقتلون من يحاول كشفهم، أما في بعض الحالات يطمرون القصة ويبحثون عن فريسة أخرى..

ما حدث في هذه الرواية هو بمثابة بذور لأشياء أكبر، ربما تكون محاولة، وربما تكون قصة حب فاشلة ليس أكثر.. لكن في النهاية، هذا ما حدث، وليس باليد حيلة غير نشر هذه الرواية..

الساعة الآن أكملت الخامسة وخمس عشرة دقيقة، وعادت للنوران..

وقد كانت صفة الله على هيئة حلقة تراب..  
ليوقظك..

اعتراف:



أنا لست الكاتب الحقيقي لكامل هذه الرواية،  
أنا شخصان مني، أحدهما قتل في حادثة سير والآخر  
من أكمل كتابة هذه الرواية.  
حدث الأمر في السادس والعشرين من حزيران المنصرم،  
حين دعاني معاذ جهاد الحقيفي للتمشي معا ، وعرض  
علي شيئا لم يكن في الحسبان يوما ، أن أصبح أنا هو  
بكامل تفاصيله..

لن تصدق، وليس المفروض منك أن تفعل، لكننا نشب  
بعضنا - شكلا - إلى درجة كبيرة، الفرق أنه قوي،  
متماسك، واثق من نفسه.. بعكسي، أنا الضعيف الهش الذي لم يكن..

ووافق أن يكون بديلا عن نفس قد توفت.  
اتفقتنا أن أصبح أنا هو على شرط قد أحللت به، أن لا أحب نفس الأنتى التي قد أحبها هو.  
وبعدما وافقت بسرعة، أطلق قهقهة كبيرة وقال: "أنت لا تعرف ما ينتظرك الآن" ..  
بعد فترة، عرفت كم كان صادقا، وكم كنت أبلها بالموافقة على هذه الخدعة...

\*\*\*

معاذ جهاد مسالمة

فلسطيني من سنجل / رام الله

"طالب في كلية الهندسة في جامعة بيرزيت"

صدر للكاتب: رواية "لا تقرب النساء"

للتواصل: muadhjehad@gmail.com

4 - 2 - 9583 - 9938 - 978



نحن للتأليف والنشر والتوزيع  
nousedition@gmail.com  
Tel: +216 99 29 21 31

نحو  
nous  
للإبداع والنشر والتوزيع